

١ تموز سنة ١٩٥٠ — ١٥ رمضان سنة ١٣٦٩

كنوز الأجداد

— ١٥ —

الجاحظ (١)

(٢٥٥)

عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، وقيل انه كان مولى ابي القلمّس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي. فهو كناني صليبة خالص النسب. وكان جده فزارة أسمر اللون وكان جمالاً لعمرو بن قلع. أطلق على عمرو اسم الجاحظ لنتوء عينيه ويقال له الحدقي. ولد من أبوين فقيرين في البصرة حوالي سنة ستين ومائة وتعلم الخط والقراءة في كتّاب ببلده وتلقى الفصاحة شفاهاً عن العرب في المربد واتصل بالأصمعي وابي زيد الأنصاري وابي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى والأخفش والنظام وصالح بن جناح. وحدث عن ثمامة بن أشرس النميري

(١) اتبعنا الطريقة التي وضعناها لهذا الكتاب في الترجمة للجاحظ، ومن أراد التوسع في الكلام عليه وعلى ابن المقفع وأبي حيان التوحيدي فليرجع الى كتابنا أمراء البيان ففيه افاضة حسنة في أخبارهم وآثارهم.

ويزيد بن هرون والسري بن عبدويه والقاضي ابي يوسف والحجاج بن محمد . وكان كل واحد من هؤلاء الأعلام فرداً في صناعته .

أحكم الجاحظ فنون الأدب والأخبار واللغة والكلام والحكمة وهو في ميعة الشباب ، واتسع عقله للاشتغال بمسائل مهمة من الدين فكان صاحب مذهب وسميت فرقته الجاحظية وهو من الطبقة السابعة من المعتزلة . والغالب انه كان يعرف الفارسية ، وكان مولعاً بالكتب حدث أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر .

ما أحب الجاحظ ان يفوته شيء من أنواع العلوم والآداب فنظر في كل علم وأخذ عن كل من اعتقد ان عنده من المعارف ما ليس عند غيره ، ودأب الى هذا يسأل جميع الطبقات عما يهمه ويريد أن يتفهمه فيسترشد بآراء الحراس ويتحدث الى الحواة والجزارين والعطارين والنجارين والصيادين والأكارين والقابلات ويسأل الحشوة وأرباب البطالة وقد يأخذ بآراء المجربين اذا رووا له غرائب قبلها عقله أو يردها اذا كانت حديث خرافة ، ويتحدث الى كل من عنده « طرائف من الكلام ، وعجائب من الأقسام » روى أشياء كثيرة عن الأعراب في البادية وعن العامة في المدن فالحكمة ضالته يلتقطها حيث وجدها . كتب في هذا يقول عن نفسه : ولم أزل أبقاك الله بالموضع الذي قد علمت ، من جمع الكتب ودراستها والنظر فيها ، ومعلوم ان طول دراستها انما هو تصفح عقول العالمين ، والعلم بأخلاق النبيين وذوي الحكمة من الماضين والباقين من جميع الأمم .

مزية الجاحظ التي تفرد بها استعماله عقله في الرأي المعروض يتناول كل ما يقع عليه الحس وتنظره العين وتتشوف اليه النفس وليس نظره فيما عانى النظر المجرد بل نظر « الفلسفة والغرائب التي صححتها التجربة وأبرزها الامتحان وكشف قناعها البرهان » فهو مجموعة تفكير والتفكير « مشحذة للأذهان ومنبهة لذوي الغفلة »

وتحليل لعقدة البلادة ، وسبب لاعتياد الروية ، وانفساح في الصدور ، وعزاء في النفوس ، وحلاوة تقتاتها الروح ، وثمرة تغذو العقل » . « وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أرجحهم عملاً ، كما أن أكثر البصراء رؤية للأعاجيب أكثرهم تجارب ، ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الأعمى ، وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الأصم » « فلا تذهب الى ما تريك العين ، واذهب الى ما يريك العقل ، وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة » « ولعمري ان العيون لتخطئ ، وان الحواس لتكذب ، وما الحكم القاطع الا للذهن وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل اذ كان زماماً على الأعضاء ، وعياراً على الحواس » .

دعا الى المعاينة ودعا الى الشك وقال اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها تعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلماً » وقال : « وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودةَ الحفظ لمكان الاتكال عليه ، واغفال العقل من التمييز حتى قالوا الحفظ عَذْقُ الذهن لأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلداً ، والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة ، والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أدام الحفظ اضر ذلك بالاستنباط ، ومتى أدام الاستنباط أضرَّ ذلك بالحفظ » .

ومن أجل هذا كتب له ردّ كل خرافة قال بها المتكلمون ، أي رجال الدين ، وأصحاب علوم الدنيا ، وزيف بعض أنظارهم فهو في كل ما خطته يراعته فوق العلماء وطريقته في تأليفه « لا يصل الصدق بالكذب ولا يدخل الباطل في تضاعيف الحق ، ولا يتكثر بقول الزور ، ولا يلتمس تقوية ضعفه باللفظ الحسن ، وستر قبح كلامه بالتأليف المونق ، ولا يستعين على ايضاح الحق الا بالحق ، وعلى ايضاح الحجة الا بالحجة ، ولا يستميل الى دراسة تآليفه واقتنائها ، ويستدعي

الى تفضيلها والاشادة بذكرها بالأشعار المولدة والأحاديث الموضوعة والأسانيد المدخولة وبما لاشاهد عليه الا دعوى قائله ، ولا مصدق له الا من لا يوثق بمعرفته » .

قال ابن الخياط : ومن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة وكتابه في الأخبار واثبات النبوة وكتابه في نظم القرآن علم ان له في الاسلام غناءً عظيماً ، لم يكن الله عز وجل يضيعه له . ولا يُعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وانه حجة لمحمد على نبوته غير كتاب الجاحظ . وهذه كتبه في اثبات الرسالة وكتبه في تصحيح مجيء الأخبار مشهورة اه .

من كان يظن ان الرجل الذي يؤلف في علوم الدين والجدل والرد على المخالفين وعلى المجوس والنصارى واليهود وعلى الفرق الاسلامية وهو في أصله امام ديني وصاحب مذهب انه يؤلف في الحيوان وفي الزرع وفي الشجر والنخل والأعناب وفي كل ما يعرض له من الموضوعات في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأخلاق والجغرافية والتاريخ الى ما عرف في عصره من أنواع العلوم ، ومن جملة ما يتقن من الفنون الطب والكيمياء والظواهر الجوية والطبيعة وعلم النفس والأخلاق والمعادن والأصباغ والتجارة وحيل اللصوص وأخبار الخلعاء والمجان ، ورسائله كثيرة لا يخطر ببالك أنه يكتب فيها . سئل ابو العيناء الراوية الأخباري : ليت شعري أي شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري أي شيء كان الجاحظ لا يحسن . وقال المسعودي : لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً من الجاحظ ... وكتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها احسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ . وكان اذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جدٍّ الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة طريفة ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه . ووصفه ثابت بن قرة « انه خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين ومدره المتقدمين والمتأخرين ، ان تكلم حكى سحبان وائل ، وان ناظر ضارع النظام

في الجدل ، وان جد خرج من مَسك عامر بن عبد قيس وان هزل زاد على مزُبِد ، حبيب القلوب ، ومَراح الأرواح ، وشيخ الأدب ، ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة ، ما نازعه منازع الا رشاه آنفاً ، ولا تعرض له منقوص الا قدم له التواضع استبقاء ، الخلفاء تعرفه ، والأمراء تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ منه ، والخاصة تسلم له ، والعامة تحبه ، جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ، وبين النثر والنظم ، ووطئ الرجال عقبه ، وتهادوا أدبه ، وافتخروا بالانتساب اليه ، ونجحوا بالاقتداء به ، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب » .

نعم « كان نسيج وحده في جميع العلوم » وقال ابن سنان الخفاجي « فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ولا يحسن غيره » وقال ابن العميد « كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً » .

ونقل عن جالينوس واقليمون وحنين بن اسحق وبُختيشوع وصالويه وماسرجويه وغيرهم من علماء عصره أما أرسطو فقد أنحى عليه بما اخترعه من التخريف في الحيوان . وكان شعاره « اذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم انه ما يريد ان يفلح » وقال : « وكلام كثير قد جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة مرة فمن أضر ذلك قولهم : لم يدع الأول للآخر شيئاً قال : فلو ان علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلاً .

لم يضع ابو عثمان كتاباً خاصاً في الفلسفة لكن تآليفه تنم عن طول باعه فيها وهل الفلسفة الا علم العقل وعقل الجاحظ كان يحكمه في كل شيء . وما قام في الاسلام عالم جمع في صدره العلوم الدينية والدنيوية مثله ولا من ألف هذا القدر من التآليف الممتعة ، فقد ألف ثلاثمائة وخمسين كتاباً ورسالة منها ما كسره علي بضعة مجلدات ومنها ما كان في رسالة صغيرة ، ضاع أكثرها

ولا سيما كتب الدين لأن خصومه اثاروا عليه حرباً شعواء في عصره وبعد عصره فكان من تحيلهم على طمس آثاره أن يبيدوا كتب عدو مذهبهم، وافلت من براثنهم بعض اسفاره فكان منها كتاب الحيوان والبيان والتبيين وكتاب البخلاء الى غير ذلك من الكتب والرسائل . قال في وصف كتاب الحيوان (وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لأنه وان كان عربياً أعرابياً ، واسلامياً جماعياً ، فقد حذق طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة واشترك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة ») وقد ألفه وهو مريض بالفالج فأبان فيه عن سعة بحثه وتجاربه ولم يؤلف في بابه مثله حتى قال الحسن بن داود : فخر البصرة بأربعة كتب كتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب الحيوان له وكتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . أما البيان والتبيين فهو اول كتاب علم طلاب البلاغة بالعمل لا بالقواعد ، وبالنصوص والشواهد لا بالتعريفات المملة كما كان ممن جاءوا بعده .

كان الجاحظ من اعرف المؤلفين بأمزجة القراء ويعرف ان الجد مملول ولا بد من المزح والدعابة لئلا يسمج ، لذلك مزجه بهذه الافاضة لئلا يكون مما كتب شيء لا تهضمه النفوس . يرى ذلك ماثلاً في كتاب البخلاء وفي كتاب التربيع والتدوير الذي كتبه في احمد بن عبد الوهاب يعبث به وهو من أهم ما الف في السخرية والتهكم تجلى فيه فن الجاحظ تجليه في كل موضوع خاض غماره وتجسمت فيه خفة روحه .

ومزح الجاحظ يتجلى في جده وهزله . سأله شخص كتاباً الى بعض أصحابه فكتب له « كتابي اليك مع من لا أعرف ولا اوجب حقه فان قضيت حقه لم أحمدك وان رددته لم أذمك » . وكتب الى آخر « كتابي اليك سألني فيه من أخافه لمن لا أعرفه فافعل في أمره ما تراه والسلام » . وفي نظر الجاحظ ان الوصاة شهادة وهو اعقل من أن يشهد الزور ويبيع دينه لدنيا غيره .

وبينا ترى الجاحظ ينقل اليك كلام العقلاء ومذاهب العلماء والحكماء يروي لك نوادر من كلام الصبيان والمجرمين من الأعراب ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المرّة من الموسوسين ومن كلام أهل الغفلة والنّوكى وأصحاب التكلف من الحمقى . يجعل بعضها في باب الهزل والفكاهة ويقول ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة الى بعض الهزل وان المزاح جد اذا اجتلب ليكون علة للجد .

ومن أعجب ما كان يأتيه في العبث بأعدائه وحساده ما رواه قال : «اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من اهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته . وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه القدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب ، فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة ، فان امكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي الف له فهو الذي قصدوه وارادوه . وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً ونقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً ، وأعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً واهدوه الى ملك آخر ومتّوا اليه به ، وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً اليّ وموسوماً بي ، وربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب الحكمة ويحيى بن خالد العتابي ومن اشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم ، الطاعنون على الكتاب الذي كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ، ويكتبونه بخطوطهم ، ويصيرونه اماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ، ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس ،

فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه لأنه لم يترجم باسمي ، ولا نسب الى تأليفي » .

وما كان امتاع الجاحظ بما كتب هذا الامتاع الا لأنه لا يتكلف في اختيار الفاظه ويرسل النفس على سجيتها فيما يؤلف ، فجاءت تآليفه كلها نمطاً واحداً في البلاغة والفصاحة يكتب كما يتكلم من دون تزيّد ولا تعمل . وربما نسب قسم عظيم في جودة تأليفه الى امتلاكه ناصية الكلام واعطاء كل موضوع حقه من الألفاظ والمعاني . وكأنه كان يضع بعض ألفاظ او يستعمل ما لا عهد باستعماله قبله مثل قوله « القرويون والبلديون واللغويون والمعنويون » اطلق هذا على سكان الضياع والدساكر وسكان المدن والحواضر ، وعلى من يشتغلون بالألفاظ ويشتغلون بالمعاني . وكثيراً ما استعمل بعض الألفاظ العامية عند نقله روايات المنادمة لأن النكتة لا تملح الا اذا رويت بالفاظها . وتمييز الجاحظ بين حي الألفاظ وميتها ، وسهلها وعويصها سبب أول في تفوقه ببلاغته .

وملاك الأمر عنده أبداً ان يكون اللفظ سمحاً لا كزًّا والابتعاد عن المعاني التافهة والقوالب المستكرهة ولطالما اوصى طلاب البلاغة ألا يعمدوا الى استعمال اللفظ العامي الساقط السوقي ولا الوحشي الغريب لأن « الاستعانة بالغريب عجز » « الا ان يكون المتكلم بدوياً أعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانه السوقي » والمعول عليه في هذا الباب ان « لا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة » .

قال : وانا اقول في هذا قولاً وارجو ان يكون مرضياً ولم أقل ارجو لأني اعلم فيه خللاً ، ولكنني اخذت بآداب وجوه اهل دعوتي وملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي وهم العرب . وذلك انه قيل لصُحارٍ العبْدي : ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره اياديه واحسانه ؟ قال : اما نحن فانا نرجو ان نكون قد بلغنا من اداء ما يجب علينا مبلغاً مَرْضياً ، وهو يعلم انه قد وفاه حقه الواجب وتفضل بما لا يجب . قال صُحار : كانوا يستحِبون ان يَدَعوا للقول متنفَّساً وان يتركوا

فيه فضلاً . وان يتجافوا عن حق ان ارادوه لم يُمنعوا منه فلذلك قلت أرجو فافهم فهمك الله » قال : فان رأيي في هذا الضرب من اللفظ ان اكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها والعادة فيها ان الفظ بالشيء العتيد الموجود وادع التكلف لما عسى ان لا يسلس ولا يسهل الا بعد الرياضة الطويلة .

وقال ايضاً : ومتى شاكل ابقاك الله اللفظ معناه وكان لذلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وحقيقاً بانتفاع المستمع ، وجديراً ان يمنع جانبه من تأول الطاعنين ، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة ، ومتى كان اللفظ ايضاً كريماً في نفسه ، متخيراً من جنسه ، وكان سليماً من الفضول ، بريئاً من التعقيد ، حُبب الى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت له الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرّيّض ، ومن اعاره من معرفته نصيباً ، وافرغ عليه من محبته ذنوبا ، حبب اليه المعاني ، واسلس له نظام اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع عن كد التكلف ، واراح قارئ الكتاب من علاج التفهم» . وعنده ان «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك» .

قال في رسالة القيان يصف القينات في عصره : «وكيف تسلم القينة من الفتنة ، او يمكنها ان تكون عفيفة ، وانما تكتسب الأهواء وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وانما هي تنشأ من لدن مولدها الى اوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله ، من لهو الحديث وصنوف اللعب والأخابيث ، وبين الخلعاء والمجان ، ومن لا يُسمع منه كلمة جد ، ولا يرجع الى فقه ولا دين ، ولا صيانة مروءة ، وتروي الحاذقة

منهن اربعة آلاف صوت فصاعداً ، يكون الصوت فيما بين البيتين الى اربعة ابيات ، عدد ما يدخل في ذلك من الشعر ، اذا ضربت بعضه ببعض عشرة آلاف بيت ، ليس فيها ذكر الله الا عن غفلة ، ولا ترهيب عن عقاب ولا ترغيب في ثواب ، وانما بنيت كلها على ذكر الزنا والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغُلمة ، ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها ، منكبة عليها تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش وانشادهم مراودة ، وهي مضطرة الى ذلك في صناعتها لأنها ان جفتها تفلتت ، وان اهملتها نقصت ، وان لم تستفد منها وقفت ، وكل واقف فالى نقصان اقرب ، وانما فرق ما بين اصحاب الصناعات وبين من لا يحسنها التزيد فيها والمواظبة عليها ، فهي لو ارادت الهدى لم تعرفه ، ولو بغت العفة لم تقدر عليها ، وان ثبتت حجة ابي الهُذَيْل فيما يجب على المتفكر زال عنها خاصة ، لأن فكرها وقلبها ولسانها وبدنها مشاغيل بما هي فيه ، وعلى حسب ما اجتمع عليها من ذلك في نفسها لمن بُلي بمجالستها عليه وعليها » .

وقال في رسالة النساء : « ورأيت أكثر الناس من البصراء بجوهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة ولا بدَّ من جودة القدّ وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ، ولا بد من ان تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيفة ، وانما يريدون بقولهم مجدولة ، جودة العصب وقلة الاسترخاء ، وكأنها جان ، وكأنها جَدل عنان ، وكأنها قضيب خيزران ، والتثني في مشيها أحسن ما فيها ، ولا يمكن ذلك للضخمة والسمينة ، وذات الفضول والزوائد ، على ان النحافة في المجدولة أعم ، وهي بهذا تحبب على السمان الضخام ، وعلى الممشوقات والقضاف ، كما يحبب هذه الأصناف على المجدولات ، ووصفوا المجدولة بالكلام المنثور فقالوا : اعلاها قضيب وأسفلها كثيب » .

وقال في عدم تغليظ حجاب النساء : ثم لم يزل للملوك والاشراف اماء تختلفن

في الحوائج ويدخلن في الدواوين ونساء يجالسن للناس ... ثم كن يبرزن للناس أحسن ما كنّ وأشدّ ما يتزين به فما أنكر ذلك منكر ولا عابه عائب ... والدليل على أن النظر الى النساء كلهن ليس بحرام ان المرأة المغنية تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك فلو كان حراماً وهي شابة لم يحل اذا غنت ، ولكنه أمر افرط فيه المتشددون حد الغيرة الى سوء الخلق وضيق العطن فصار عندهم كالحق الواجب» . وقال في كتاب النساء : «ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة او طبقتين او بأكثر ولكننا رأينا أناساً يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويبخسونهن اكثر حقوقهن ، وان من العجز ان يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الا بان ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا ان أناساً يفخرون بالجلَد وقوة المُنَّة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخَوَر لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب . قال : ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات وأنا وان كنت قلت ان حق هذا أعظم فان هذه ارحم .

ومن أجمل ما وصف به قاضي البصرة قوله : كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار ، لم ير الناس حاكماً زميتاً ركيناً ولا وقوراً حليماً ، ضبط من نفسه ، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك . كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكي فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا تحل حبوته ، ولا يحل رجلاً على أخرى ، ولا يعتمد على احد شقيه ، حتى كأنه بناء مبني ، او صخرة منصوبة ، فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم

الى صلاة العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد الى مجلسه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك ، اذا بقي عليه شيء من قراءة العهود والشروط والوثائق ، ثم يصلي العشاء الآخرة وينصرف . فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ، ولا احتاج اليه ، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب ، كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها ، وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا عضواً ، ولا يشير برأسه ، وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ، ويبلغ باليسير من الكلام الى المعاني الكبيرة .

« فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه . وفي السماطين بين يديه ، سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ، ثم تحول الى موق عينيه ، فرام الصبر على سقوطه على الموق ، وصبر على عضته ونفاذ خرطومه ، كما رام الصبر على سقوطه على أنفه ، من غير ان يحرك أرنبته ، او يغضن وجهه ، او يذب باصبعه ، فلما طال ذلك عليه من الذباب ، وشغله واوجعه واحرقه ، وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل ، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك الى ان يوالي بين الاطباق والفتح ، فتنحى ريثما سكن جفنه ، ثم عاد الى موقه بأشد من مرته الأولى ، فغمس خرطومه في مكان كان قد آذاه فيه قبل ذلك . فكان احتماله اقل ، وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقوى ، فحرك أجفانه ، وزاد في شدة الحركة ، وألحّ في فتح العين ، وفي تتابع الفتح والاطباق ، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ، ثم عاد الى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده ، فلم يجد بداً من ان يذب عن عينه بيده ففعل ، وعيون القوم ترمقه ، وكأنهم لا يرونه ، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم الجأه الى ان ذبّ عن وجهه بطرف كمه ، ثم ألجأه الى أن تابع ذلك ، وعلم ان فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه ،

فلما نظروا اليه قال : اشهد ان الذباب ألجُّ من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ، قال : وأستغفر الله فما أكثر من اعجبته نفسه فأراد الله عز وجل ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً ، وقد علمتم اني عند نفسي وعند الناس من أرزن الناس فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ثم تلا قوله تعالى : (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وكان بيّن اللسان ، قليل فضول الكلام ، وكان مهيباً في اصحابه ، وكان احد من لم يطعن عليه في نفسه ، ولا في تعريض اصحابه للمنالة» .

وبعد فقد عاش الجاحظ اذا تدبرت كتبه عيش المتفائل لا المتشائم تطلبه الخلفاء والأمراء فيتحاماهم ويقنع منهم برواتب يعيش به وعطايا تدر عليه منهم اذا وشح تآليفه باسمائهم ، سأله أحدهم مرة اذا كان له بالبصرة ضيعة فتبسم وقال : انما انا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، واهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار فانصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا الى تسميد .

كان الجاحظ كريماً لا يمسك مالاً فيعسر أحياناً ، وكان الى الاعتدال أقرب في جدله ومناقشاته ولذلك كانت تكتب له الغلبة على خصومه ، نال منهم وما نالوا منه وضحك من عقولهم وما استطاع قط حساده ان يضحكوا منه ، طال عمره ومرض مرضاً عضالاً في عشر الثمانين وما انقطع عن التأليف والافادة ، فعلى كل طالب علم يريد الجمع بين البلاغة والعلم ان يقرأ بتدبر كل ما أبقته الأيام من كتب الجاحظ يرددها كل عام ليظل على صلة بالكمال المطلق من الآداب التي تصلح لكل عصر ، وتحلو مهما تقادم العهد بواضعها .

ولا يتسع المقام لاقتباس شذرات من كتبه المطبوعة في المطول منها والمختصر اشياء يجدر استظهارها والرجوع اليها ، ومن هذه الرسائل والكتب « الدلائل والاعتبار » ، « المحاسن والاضداد » ، « مناقب الترك وعامة جند الخلافة » ، « تفضيل النطق على الصمت » ، « فصل ما بين العداوة والحسد » ، « الوكلاء » ، « الرد على النصارى » ، « طبقات المغنين » ، « ذم صناعة القواد » ، « النساء » ، « الحجاب » ، « المعاد والمعاش » ، « كتمان السر وحفظ اللسان » ، « رسالة في الجد والهزل » ، « النابتة » ، « ذم العلوم ومدحها » ، « فصول مختارة منه لعبيد الله بن حسان الخ » .

المبرّد

محمد بن يزيد بن العباس الثمالي الأزدي أبو العباس

(٢٧٥)

ولد بالبصرة ، واختلف الباحثون في لقب المبرّد فقيل انه لقب بالمبرّد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للحق فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء . وقيل في سبب هذه التسمية ان صاحب الشرطة طلبه للمنادمة والمذاكرة فكره ذلك ، فدخل الى ابي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي يطلبه فقال له ابو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزمّلة فارغًا فدخل فيه وغطى رأسه ، ثم خرج الرسول فقال له : ليس هو عندي ، فقال أُخبرت أنه دخل اليك . فقال : أدخل الدار وفتشها ، فدخل وطاف في كل موضع في الدار ، ولم يفطن لغلاف المزملة . ثم خرج فجعل ابو حاتم يصفق وينادي على المزملة « المبرّد المبرّد » وتسامع الناس بذلك فلهجوا به وهو يمتّ بنسبه الى الأزد .

اخذ عن الجَرْمي والمازني والسجستاني وصار امام العربية في بغداد واليه انتهى علمها بعد طبقة الجرمي والمازني ، وغلب عليه النحو فعرفه اكثر القدماء « بمحمد ابن يزيد النحوي » وكان فصيحاً بليغاً مفوّهاً مليح الأخبار ثقة فيما يرويه كثير النوادر فيه طرافة ولباقة ، وكان الامام اسماعيل القاضي يقول : ما رأى محمد ابن يزيد مثل نفسه ، وقيل ان الناس بالبصرة كانوا يقولون هذا . وقال هو عن نفسه وعجزه عن الكتابة مع كثرة علمه في الأدب : « لا احتاج الى وصف نفسي لعلم الناس بي انه ليس احد من الخافقين تختلج في نفسه مشكلة الا لقيني بها ، واعدّني لها ، فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس ، لا يخفى عليّ مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل . ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة او التماس حاجة ، فأجعل المعنى الذي أقصده نُصب عيني ، ثم لا أجد سبيلاً الى التعبير عنه بيد ولا لسان ، ولقد بلغني أن عبيد الله بن سليمان ذكرني بجميل ، فحاولت ان أكتب اليه رُقعة اشكره فيها ، وأعرّض ببعض أموري فأتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما ارتضيه منها ، وكنت أحاول الافصاح عما في ضميري فينصرف لساني الى غيره ، فزيادة المنطق على الأدب خدعة ، وزيادة الأدب على المنطق هُجنة » اي انه لم يكن بالكاتب الذي يرتضي كتابته ، وان كان في الأدب امام الأئمة . قال الآمدي : وهذا محمد بن يزيد المبرّد ما علمناه دُوّن له كبير شيء .

رجل أقرّ على نفسه بضعف الكتابة كان حظه منها كحظ أكثر النحويين واللغويين في المتقدمين والمحدثين ، ومع هذا ألف نحو خمسة وأربعين مصنفاً أجلّ المطبوع منها وأشهرها « الكامل » وهو كتاب ممتع يجيء مع البيان والتبيين والأمالي والأغاني ، حوى قواعد نحوية وصرفية واشارات لغوية وأدبية وتاريخية قال هو فيه : هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ، ومثل سائر وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ورسالة

بليغة . والنية فيه ان نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مُسْتَغْلَق ، وان نشرح ما يعرض من الاعراب شرحاً شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن ان يُرجع الى احد في تفسيره مستغنياً .
وقال في خاتمة كتابه هذا : هذا كتاب قد وفيناه جميع حقوقه ، ووفّينا بجميع شروطه الا ما أذهل منه النسيان ، فانه قلّ ما يُخلى من ذلك .

وكان جل اعتماد المبرد على الشعر الجاهلي ولم يخل كتابه من شعر المحدثين وخطبهم وان لم يكن بحجة ولكنهم يجيدون فيذكر شعرهم لجودته لا للاحتجاج به قال : وليس لقدم العهد يُفضَّل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يُعطى كل ما يستحق . وحجته في الاختيار من أشعار المولدين المستحسنة الحكيمه انه يحتاج اليها للتمثيل لأنها أشكل بالدهر ويستعار من الفاظها في المخاطبات والخطب والكتب . اي انه لم يستغن عن شعر المحدثين وخطبهم لأن خطب الجاهلية ومحاوراتها لا تكفي في تخريج الطالب في الأدب .

وأدرك المبرد ان كتابه قد يثقل على الهضم ، ولا يهتم عامة القراء لما فيه من قواعد التصريف ومشكلات النحو ، وحل الألفاظ العويصة فقال في بعض فصوله : نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً ، لتكون منه استراحة للقارئ ، والانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ، ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس . فمؤلفنا اذاً كثير الأمالي ، حسن النوادر ، أملى ان المنصور ابا جعفر ولى رجلاً على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن ، فدخل على هذا المتولي بعض المتخلفين ومعه ولده فقال : ان رأيت أصلحك الله ان تثبت اسمي مع القواعد . فقال له المتولي : القواعد نساء فكيف أثبتك فيهن فقال : ففي العميان . فقال : أما هذا فنعم . فان الله تعالى يقول : « لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . فقال : وثبت ولدي في الأيتام ، فقال : هذا أفعله أيضاً ، من يكن أنت أباه فهو يتيم ، فانصرف عنه وقد أثبته في العميان وولده في الأيتام .

ومن أهم ما حوى كتاب الكامل أخبار الخوارج وشعرهم المرقص المطرب وسيرة بعض المشهورين من بلغائهم وقد استغرق ذلك جزءاً عظيماً من الكتاب . وختم باب الخوارج بقوله : وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ، ولكن ربما اتصل شيء بشيء ، والحديث ذو شجون ، ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ، ويصده عن سَنَنه ويزيله عن طريقه ، ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأنا له هذا الكتاب ، فان مرَّ من أخبار الخوارج شيء مرَّ كما يمرُّ غيره ، ولو نَسَقْناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا خبر نَجدة وأبي فَدَيْك وعمارة الرجل الطويل وشبيب ، ولكان يكون الكتاب للخوارج مُخْلصاً .

وأبان المؤلف في مواطن كثيرة من الكامل انه في نقد الشعر واختيار جيده آية ومما قال : وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبَّه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبَّه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب ، قال قيس بن معاذ :

واخرج من بين الجلوس لعلني أُحدث عنك النفس في السر خاليا
واني لأستغشي وما لي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر :

أشوقًا ولما تمضِ لي غير ليلة رويدَ الهوى حتى يغيب لياليا

قال : هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى ، ويستحسن لذي الرُّمة قوله في مثل هذا المعنى :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير مُعْجَم

ومع هذا قال بعض المتقدمين ان ذوق المبرد في الشعر غير سليم ، وقال أبو بكر بن مجاهد : ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم . وزعم بعض من ترجموا له انه كان أبخل الناس بكل شيء

وانه قال : ما وضعت بحذاء الدرهم شيئاً قط الا رجح الدرهم في نفسي عليه ، هذا مع صحة كان فيها ووُجْد . وقالوا كان ثعلب على مثل ما كان عليه المبرد في الامساك وفوقه في السعة غير ان المبرد كان يسأل سؤالاً صراحاً ، وكان ثعلب يعرِّض ولا يصرح . وقال بعضهم ولولا اني اكره أن اكون عياباً وللعلماء خاصة ، لأخبرتك عنهما (ثعلب والمبرد) من الأخبار التي تزيد على أخبار محمد بن الجهم والبرمكي والكندي وخالد بن صفوان والأصمعي في الامتاع . ولأحمد بن عبد السلام الشاعر في مدح المبرد :

وأنت الذي لا يبلغ الوصفَ مدحه ... وان أطنب المداح مع كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكباً ... وأنت عديل الفتح في كل موكب
وكان أمير المؤمنين اذا رنا ... اليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علماً لا يحيط بكنهه ... علوم بني الدنيا ولا علم ثعلب
يروح اليك الناس حتى كأنهم ... ببابك في أعلى مِنًى والمحصّب

ومطلع هذه القصيدة :

يا ابن سراة الأزد ازد شنوءة ... وازد العتيك الصدر رهط المهلب

وقال فيه أيضاً :

رأيت محمد بن يزيد يسمو ... الى الخيرات في جاه وقدر
جليس خلائف وعَذيّ ملك ... وأعلم من رأيت بكل أمر
وفتيانية الظرفاء فيه ... وأبهة الكبير بغير كبر
فينثر ان أجال الفكر دراً ... وينثر لؤلؤاً من غير فكر
وكان الشعر قد أودى فأحيا ... ابو العباس داثر كل شعر

قوله جليس خلائف وعَذي ملك انه نبيل في أصله وفرعه وان فيه مرح الشباب وأبهة الكبراء بدون كبر وانه بليغ مفوه وانه أحيا الشعر الذي كان نسي .

كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المتعاصرين من المنافرة واشتهر ذلك حتى قال بعضهم :

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدة ويجمعنا في أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ولكنه في جانب عنه مفرد
نروح ونغدو لا تزاور بيننا وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وقال بعضهم في المبرد وثعلب :

أيا طالب العلم لا تجهلن وعذ بالمبرد او ثعلب
تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الأجرب
علوم الخلائق مقرونة بهذين في المشرق والمغرب

وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب للمناظرة وثعلب يكره ذلك ، لأن المبرد حسن العبارة ، حسن الاشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر الى ان يعرف الباطن . ولما مات المبرد قال فيه ثعلب هذه الأبيات وهي لأبي بكر بن العلاف :

ذهب المبرد وانقضت أيامه وليذهبن اثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه خرباً وباقي النصف منه سيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا للدهر أنفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه ان كانت الأنفاس مما يكتب

ومن شعر المبرد وقد بلغه أن ثعلباً نال منه :

رب من يعنيه حالي وهو لا يجري ببالي
قلبه ملآن مني وفؤادي منه خالي

ومن شعر المبرد :

حبذا ماء العنا قيد بريق الغانيات
بهما ينبت لحمي ودمي أي نبات
أيها الطالب شيئاً من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تـ فاح خدود ناعمات

ابن عبد ربه

ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

(٣٢٨)

أموي أصلاً وفرعاً وبيئة ونشأة ، تخرج في الدين واللغة بعلماء بلده ، وغلب عليه الأدب فاشتهر به وقويت ملكته في الشعر والنثر باتصاله بالمنادمة مع ملكين من ملوك الأمويين في الأندلس . ولا بدّ ان تكون الأيام التي قضاها في قصر الملك خرّجته في السياسة ، وعرف آداب الملوك وما تتوقف عليه منادمتهم من الأدوات ، ومنها الموسيقى والولع بالجمال ، وقد رزق الى هذا حساً شفافاً فكان شاعراً عظيماً وقد وصفوه بأنه كان فارس حلبة الشعر في القرن الرابع في الأندلس ، ولم تكن براعته في الشعر أقل من براعته في النثر . وصفه الحميدي مؤرخ الأندلس انه كانت له بالعلم جلالة ، وبالأدب رياسة وشهرة ، مع ديانة وصيانة ، واتفقت له أيام وولايات للعلم بها نَفاق ، فساد بعد الخمول ، وأثرى بعد الفقر ، وأشير بالتفضيل اليه ، الا انه غلب عليه الشعر . وقال فيه ابن خلكان انه من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء .

نعم كان ابن عبد ربه مولعاً بالجمال والطرب وهو في الموسيقى من الأفذاذ العارفين بها . وذكروا انه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء فرُشّ بماء وكان فيه غناء حسن ولم يعرف فقال :

يا من يضنُّ بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل في احد
لو ان أسماع اهل الأرض قاطبة ... أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده ... صوتاً يجول مجال الروح في الجسد

لو كان «زُرْياب» حياً ثم أسمعه لذاب عن حسد او مات من كمد
أما النبيذ فاني لست أشربه ولست آتيك الا كسرتي بيدي

وهو شاهد على تقواه وان ليس له أرب في غير الطرب من دون ارتكاب محرم . واقتضته صناعة الشعر في صباه أن اوغل في غزله الى التي ليس بعدها فأقلع في آخر عمره عن صبوته ، وأخلص لله في توبته ، كما قالوا فيه ، ولقد اعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو ، وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد ، وسماها الممحصات ، فمنها القطعة التي أولها : «هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر» فمحصها بقوله :

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر
عاين بقلبك ان العين غافلة عن الحقيقة واعلم انها سقر
سوداء تزفر من غيظ اذا سعرت للظالمين فما تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئا «هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر»

وأصل الأبيات قالها ابو عمر في بعض من كان نال منه وقد أزمع على الرحيل في غداة عينها فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود منعته من الرحيل فكتب اليه ابن عبد ربه :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت أبكي حذار البين ملتهفاً حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا برده من حَيا مُزن على كبد نيرانها بقليل الشوق تستعر
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً حتى أراك فأنت الشمس والقمر

ثم نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد من ذلك قوله :

ألا انما الدنيا غضارة أيكة اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال الا فجائع عليها ولا اللذات الا مصائب

وكم سخنت بالأمس عينا قريرة　　وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة　　على ذاهب منها فانك ذاهب

ومن شعره وهو آخر شعر قاله فيما قيل :

بَليت وأبلتني الليالي بكرّها　　وصرفان الأيام معتوران
وما لي لا أبكي لسبعين حجةً　　وعشر أتت من بعدها سنتان

قال الحميدي وشعره كثير مجموع رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ماجمع للحكم الملقب بالناصر الأموي ومن شعره السائر :

الجسم في بلد والروح في بلد　　يا وحشة الروح بل يا غربة الجسدِ
ان تبك عيناك لي يا من كلفت به　　من رحمة منهما سهمان في كبد

ومن شعره :

ودعتني بزفرة المشتاق　　ثم قالت متى يكون التلاقي
وبدت لي فأشرق الصبح منها　　بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم　　بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق أفظع يوم　　ليتني مت قبل يوم الفراق

ومن شعره أيضاً :

ان الغواني اذا رأينك طاوياً　　برد الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه　　نسب يزيدك عندهن خبالا

وكتاب العقد الفريد الذي خلد ذكره كما خلد بالأغاني اسم ابي الفرج الاصفهاني قسمه على خمسة وعشرين كتاباً في كل باب منها جزآن وكل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد ونظمها كتاب اللؤلؤة في السلطان ثم كتاب الفريدة في الحروب ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد ثم كتاب الجمانة في الوفود ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب ثم كتاب الجوهرة في الأمثال ثم كتاب الزمردة في المواعظ ثم كتاب الدرة في التعازي والمراثي

ثم اليتيمة في الأنساب والعسجدة في كلام الاعراب الى غير ذلك مما يدخل فيه الأجوبة والخطب والتوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة والخلفاء وأيامهم وأخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وأيام العرب ووقائعهم وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه وأعاريض الشعر وعلل القوافي والألحان والنساء وصفاتهن والمتنبئين والممرورين والطفيليين والتحف والهدايا والملح والطعام والشراب وطبائع الانسان والحيوان وتفاضل البلدان .

وفق المؤلف الى هذا التقسيم والتنسيق فحبب الى عشاق الأدب تداوله وراج في الشرق على مرّ العصور وان كان أصله من أرضه ، تسوقه مؤلفه من بضائع المشرق وأسواقه . ندر من أجادوا جمع الأدب ، والاجادة تتوقف على ذوق عالٍ ، ومادة واسعة في الشعر والخطب ، فأبان فيما نقل عن حسن اختياره واختيار الكلام كما قال المؤلف أصعب من تأليفه واختيار الرجل وافد عقله رأينا مثالاً من ذلك في الأغاني ومحاضرات الراغب وعيون الأخبار لابن قتيبة . فكتاب العقد انتقاه اذاً غربي من كلام مشارقة فجاء زبدة من أدب العرب في زهو اللغة في الجاهلية والاسلام بل معلمة من كلام أهل القرون الثلاثة الأولى منقحة مصححة . وقالوا ان الصاحب بن عباد حرص على كتاب العقد حتى حصل عنده فلما تأمله قال هذه بضاعتنا ردت الينا ، ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم وانما هو مشتمل على اخبار بلادنا ولا حاجة لنا فيه فرده . واذا ثبت حكم الصاحب على كتاب العقد فلا يعقل ان يرده بهذه السماجة وهو الذي جمع خزانة فيها ألوف من الأجزاء وبعضها قد لا يكون من الممتع ، فالعقد الفريد لا يزهد فيه الصاحب على هذا الوجه وهو مهما كان مقداره قمين ان يجد له مكاناً في رفوف خزانته العظيمة .

محمد كرد علي

استقلال الألفاظ

في كتاب الأغاني قطعة وصف فيها أبو الفرج عفو الأمير عبد الله بن طاهر عن محمد بن يزيد الأموي الحصني وهو رجل من ولد مسلمة بن عبد الملك ، تكاد تكون هذه القطعة قصة صغيرة على مصطلح عصرنا ، تشتمل في فاتحتها على مايسمونه العرض أو البسط ، وفي وسطها على العقدة وفي خاتمتها على الحلّ .

مرّت بي وأنا أفسر هذه القطعة في كلية الآداب العبارة الآتية : فلما ولي عبد الله مصر وردّ اليه تدبير أمر الشام ...

رجعت الى القاموس المحيط للفيروزابادي في تفسير مادة التدبير فوجدت ان التدبير انما هو النظر في عاقبة الأمر كالتدبر ، فقلبت النظر في هذا التفسير وقلت في نفسي : اذا كان معنى التدبير النظر في عاقبة الأمر فكيف نفهم هذه المادة في العبارة المذكورة !

لا شك في ان للفظ الواحد جملة من المعاني تختلف على اختلاف المواضع التي يستعمل فيها هذا اللفظ وعلى اختلاف الأذهان التي يعيش فيها ، فاذا أحببنا أن نفهم معنى التدبير في عبارة ابي الفرج متقيدين بتفسير الفيروزابادي فلا يكون فهمنا لهذه المادة فهماً صحيحاً لأن لفظ التدبير في المكان الذي استعمل فيه انما معناه السياسة أو الحكم بحسب عرف عصرنا ، فما معنى : وردّ اليه النظر في عاقبة أمر الشام ، لا ريب في أن بين السياسة وبين النظر في عواقب الأمور شيئاً من الصلة ، فمن لوازم السياسة ان ينظر صاحبها في العواقب ، ولكنّ هذا المعنى اللغوي الذي حدّه رجال اللغة يختلف عن المعنى السياسي الذي يمرّ على خواطر أهل السياسة ، فلفظ التدبير له في العبارة المذكورة في قطعة الأغاني معنى خاص ، وهو السياسة او الحكم ، وقد كان هذا المعنى شائعاً في عصر صاحب الأغاني ، يقول المتنبي في احدى قصائده في كافور :

يدبّر الملك من مصرٍ الى عدنٍ الى العراق فأرض الروم فالنوب

فالتدبير في هذا البيت معناه السياسة ، وهذه المادّة انما هي من الموادّ التي تحوّلت معانيها على الأيام ، فانا في عصرنا هذا لا نقول يدبّر فلان مصر أو الشام ، وانما نقول : يسوس أو يحكم أو ما شاكل ذلك ، ففي هذا اللفظ دليل على ان الألفاظ تتحوّل معانيها بين عصرٍ وعصر ، فمرّة تضيق هذه المعاني فتنتقل من وجهٍ عام الى وجهٍ خاص ، ومرّة تتسع فتنتقل من أفق خاص الى أفق عام ، وليس هذا بموضوعنا في المقال .

قلت : ان للألفاظ طائفة من المعاني تختلف على اختلاف المواضع التي تردُ فيها ، فكما ان للتدبير في كلام صاحب الأغاني وشعر المتنبيّ معنى خاصاً ، فكذلك نجد للتدبير في كلام رجال الفلسفة معنى خاصاً ، فقد نجد مثلاً في فصل من فصول الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي هذه العبارة : وان هذه الأرواح المدبّرة للعالم بما فيه ... فالتدبير في هذا المكان انما هو غير التدبير الذي مررنا به ، ان له في كلام المجريطي وغيره من رجال الفلسفة معنىً فلسفياً يختلف عن المعنى السياسي ، وما يقال في هذا الموطن في التدبير يقال في التدبّر ، وهذه المادة أخت التدبير ، فالتدبّر في الفلسفة يختلف عن التدبر في اللغة ، فان المجريطي لما قال في آخر الفصل الذي أشرت اليه : وتدبّر هذا القول تسعد به ان شاء الله ، أراد بقوله : وافهم هذا القول وأدركه واعمل الروية فيه وما شابه ذلك .

وكما ان الألفاظ تختلف معانيها على اختلاف المواضع التي تستعمل فيها فكذلك تختلف معانيها على اختلاف الأذهان التي تعيش فيها ، فقد شاع لفظ التدبير في لغتنا العامة وأصبح له في كل ذهنٍ معنى خاص ، فاذا كان فلان ضيق العيشة وقالوا فيه : انه يدبّر حاله ، فكأنهم يريدون بذلك انه يستطيع بما أوتيه من حسن التصرف أن يتصرف في أمر عيشته حتى لا يظهر عليه أثر

الضيق ، فللتدبير في هذا الموضع معنى يختلف عن معانيه في اللغة والسياسة والفلسفة ، وكذلك اذا قالوا : ان فلاناً قد غضبت عليه الحكومة ولكنّه دبّر أمره ، فكأنهم يعنون بذلك انه استطاع ان يرضيها بالمصانعة أو بغيرها حتى رضيت عنه .

واذا أردنا أن نتوسع في الاستشهاد فانا نجد المجال مديداً .

لما وصف أبو الفرج في القطعة التي ذكرتها محمد بن الفضل الخراساني وهو قائد من وجوه قوّاد طاهرٍ وابنه عبد الله قال فيه : وكان عاقلاً ، فاضلاً .

فهل نجد لمادّة العقل في هذا المكان معنى يتفق عليه اثنان منا ، اذا رجعنا الى كتب اللغة في تفسير معنى العقل وجدنا في بعضها ما يلي :

العقل : العلم أو بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشرّ الشرين أو مطلق لأمورٍ أو لقوةٍ بها يكون التمييز بين القبح والحسن ولمعانٍ مجتمعة في الذهن يكون بمقدماتٍ يستتبّ بها الأغراض والمصالحُ ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفس العلومَ الضرورية والنظرية .

فماذا أراد ابو الفرج لما قال في محمد بن الفضل الخراساني انه عاقل ، انا لا نصل الى حقيقة مراده لأن للعقل معنى يختلف على اختلاف المواطن التي يرد فيها ، والأذهان التي يعيش فيها ، فله في الفلسفة معنى خاص ، وله في كل موطنٍ يستعمل فيه معنى خاص ، فاذا قال الناس ، في لغتهم العامة ، في رجل لا يلقي بنفسه الى التهلكة : انه عاقل ، فكأنهم حصروا عقله في هذا الموضع في اجتناب المهالك ، وكذلك اذا قالوا في رجل جمع الأموال من كل الوجوه ، من حرامها وحلالها : انه عاقل ، فكأنهم جعلوا عقله في هذا المكان في جمع المال على أي وجهٍ ، حتى لا يحتاج الى أحد في حياته .

ولما قال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فكأنه أراد بالعقل في بيته هذا معنىً لايخطر ببال كل واحدٍ منا ، فقد يكون معنى العقل في ذهن المتنبي كثرة التفكير في العواقب وقوة الحس وقد يكون معنى الجهالة في ذهنه قلة المبالاة بالعواقب وضعف الحس .

نستخرج من كل ما تقدَّم ان الألفاظ ليس لها حياة مستقلة ، وانما حياتها في مواضع استعمالها وفي الأذهان التي تعيش فيها ، فاذا جرَّدناها من العبارات التي تستعمل فيها أو نقلناها من الأذهان التي تعيش فيها فلا نجد لها استقلالاً ، وبهذا القول ندرك فائدة المعجمات التي تفسر الألفاظ بحسب عصور ظهورها واستعمالها ، ولا نجد من هذه المعجمات شيئًا في لغتنا ، فاذا وضعنا معجماتٍ تفسّر الألفاظ فيها على الوجه الذي أشرت اليه فقد نحيط بمعنى المادة في كل طورٍ من أطوار استعمالها ، اضرب مثلاً لذلك مادة التدبير نفسها ، فلو كان لنا معجمات تفسر هذه المادة بحسب مواضعها من الكلام أو بحسب العصور التي استفاضت فيها لتبيَّن لنا ان هذه المادة غير مستقلة في معناها ، وانما هذا المعنى يتحول من وجه الى وجهٍ ، بحسب المواضع والعصور والأذهان وغير ذلك .

ولما قال بعض رجال اللغة : إن الألفاظ ليس لها حياة مستقلة ارادوا بذلك أن يردّوا على الذين شبَّهوا الألفاظ بالمخلوقات الحية وقالوا انها تولد فتعيش أو تموت ، فالأستاذ الفرنسي « ڤاندريس » لا يرى ان اللفظ يولد ولا يرى انه يعيش او يموت كما يولد الرجل وكما يعيش أو يموت ، الا اني أرى في هذا النحو من الفهم لكلام من قالوا بحياة الألفاظ بعض الانحراف ، فالأستاذ « دارمستتر » صاحب كتاب : حياة الألفاظ ، لا يخطر بباله ان الألفاظ تولد بنفسها وتعيش وتموت بنفسها ، وانما يذكر لميلادها وحياتها وموتها عللاً شتى ، منها ما له صلة

بالمنطق ، ومنها ما له صلة بالاجتماع وغير ذلك ، فاطلاقه الحياة على الألفاظ انما هو من باب التجوز ، فكأنه يريد أن يُريَنا في عالم الألفاظ ميلاداً وحياةً وموتاً كما نشاهد ذلك في عالم الطبيعة ·

فمن الخطأ بعد هذا كله أن نعتقد ان معجماتنا اللغوية قادرة على أن تفسّر لنا كل الألفاظ تفسيراً فيه مقنع ، لأن لهذه الألفاظ طائفة من المعاني تتغير بتغير المواضع والأذهان والعصور ، والخلاصة ان حياة الألفاظ لا تنعم بشيء من الاستقلال ·

شفيق جبري



مصطلحات جيولوجية

هذا بحث شبيه بالبحوث التي أنشرها منذ سنين في مجلتنا هذه ، أو كنت أنشرها في مجلة المقتطف بعناوين مختلفة مثل «ألفاظ عربية لمعان زراعية» و«ألوان الخيل وشياتها» و«ألفاظ الآلات الزراعية» و«ألفاظ الفيوم» و«ألفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا والعليا» و«أسماء الثمار النباتية» و«مصطلحات النباتات الدنيا» الخ . وكان آخرها ما نشرته في العدد السابق بعنوان «أسماء الفصائل النباتية» .

ويتضح من تلاوتها انها ليست أبحاثاً في العلوم المذكورة نفسها ، بل محاولة لاثبات ما أراه أصلح المصطلحات العربية في تلك العلوم .

ولقد أنعمت النظر حديثاً في ألفاظ كتب عربية وتركية [1] في علم الجيولوجية ، وفي ألفاظ هذا العلم في بعض المعجمات الأعجمية العربية (كمعجم الدكتور محمد شرف ومعجم النجاري بك ومعجم اليسوعيين الفرنسي العربي وغيرها) فألفيت بعض مصطلحاتها العربية صحيحة ، وبعضها مرجوحة أو مغلوطة ، ولذلك عمدت الى كتابة هذا البحث الموجز ، ذاكراً فيه بعض الألفاظ الجيولوجية بالفرنسية ، وما أراه يصلح لها من الألفاظ العربية . ولست أدعي بأن جميع هذه الألفاظ العربية صحيحة أو راجحة ، ولكن في ذكرها فائدة لأساتيذ المواليد في البلاد العربية ، وللمجامع اللغوية العربية التي تعنى بمصطلحات الجيولوجية .

Géologie — كلمة جيولوجية هذه مؤلفة من لفظين يونانيين معناهما علم الارض .

---

(١) من المعروف أن نحو ٨٠ في المائة من الألفاظ العلمية في اللغة التركية العثمانية كانت ألفاظاً عربية ، وان علماء الترك في تلك الأيام كثيراً ما كانوا يتحرون دقيق المصطلحات العلمية العربية ، خلافاً لما يظن بعض الناس .

ويبحث هذا العلم عن بناء الكرة الأرضية وعن ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وهو في الحقيقة جماع بضعة علوم تشتمل على بحوث كثيرة كموقع الأرض في العالم الفلكي ، وتكوّنها وطبقات صخورها ومعادنها ، والأحياء التي عليها أو فيها ولا سيما في القديم ، والتأثيرات المختلفة فيها قديماً وحديثاً كتأثير عوامل الطبيعة والكيمياء وعوامل الأحياء وكتأثير الزلازل والبراكين الخ .

وقد ترجموا كلمة جيولوجية بقولهم « علم طبقات الأرض » . وقال الأب أنستاس « علم الهَلَك » ومن معاني الهلك في اللسان والقاموس « ما بين كل أرض الى التي تحتها الى الأرض السابعة » . ومعنى ذلك باختصار طبقات الأرض . ولكن بحث طبقات الأرض هذا ليس سوى جزء من علم الجيولوجية . ويقابله لفظ Stratigraphie ومعناها علم طبقات الأرض أي الطبقات المنضدة .

والذي أراه إما ترجمة جيولوجية بعلم الأرض وإما تعريبها وهو ما أرجحه . والجيولوجية قسمان قسم يسمى :

Géogénie — وهي كلمة مؤلفة من لفظين يونانيين معناهما ولادة الأرض . وهو يبحث أصل الكرة الأرضية وتكوّنها والتبدلات التي تطرأ عليها ومصيرها ، فهو اذن بمعنى التاريخ الطبيعي لهذه الكرة . ويمكن تسميته « تكوّن الأرض » او « نشوء الأرض » .

أما القسم الثاني فيسمى :

Géognosie - وهي أيضاً مؤلفة من لفظتين يونانيتين معناهما معرفة الأرض . وهذا العلم يشمل المواد التي تتألف منها الكرة الأرضية . وهو اذن بمعنى وصف الأرض او تحليتها او تشريحها . ويمكننا تسميته « بناء الارض » او « تحلية الأرض » . ومن مشتملات هذا العلم العلوم أو البحوث الآتية :

Pétrographie — ومعناها علم الصخور التي في أديم الأرض أي في قشرة الكرة الارضية . وهو دراسة تكوّن هذه الصخور وبنائها المعدني والكيمياوي . ويمكن تسميته علم الصخور او الصخريات .

Paléontologie — من ثلاث كلمات يونانيات معناها علم الكائنات القديمة . وهو يبحث عن الحيوانات والنباتات المتحجرة Fossiles أي الأحياء التي هلكت قديماً وتركت آثارها أو بقاياها في الطبقات الجيولوجية . وقد سماه علماء الترك علم المستحاثات . وسمي في مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية علم الإحاثة (ج ٣ ص ١٥٧) . وفي معجم النجاري علم الحفريات ، وكذلك في كتاب طبقات الارض وبسائط الجيولوجية لفؤاد صروف . وسماه فان ديك في كتاب النقش في الحجر علم الأحافير . أما الدكتور شرف فسماه في معجمه علم الحيوانات المستحاثة .

وإحاثة الأرض واستحاثتها هما في لساننا الضادي إثارتها واستخراج ما فيها . أما الحَفْر وما اليه فمعانيها معروفة . والحَفَر التراب المخرج من الشيء المحفور ، ج أحفار وجج أحافير . وقد رجعوا في مطالع نهضتنا الحديثة الى الحفر والإحاثة لأن كلمة Fossile هي من أصل لاتيني (Fossilis) معناه ما يُستخرج من الأرض . ولكن كلمة فوسيل هذه لا تستعمل علمياً بمعنى ما يستخرج من الأرض ، بل تدل ، كما أشرت اليه ، على بقايا أو آثار متحجرة لحيوانات ونباتات هلكت ودفنت في طبقات الأرض في أحقاب سحيقة . ولذلك لا أرى ترجمة هذه الكلمة الاعجمية بمعنى اصلها اللاتيني ، بل أرجح ترجمتها بمدلولها العلمي أي بكلمة متحجرة والجمع متحجرات والمصدر التحجُّر أي Fossilisation والعلم علم المتحجرات اي Paléontologie . والتحجُّر أخف من الاستحجار . وهما بمعنى . (انظر الأساس) .

Stratigraphie — علم طبقات الأرض ، او علم الطَّبَك ، على ما ذكرته .

Minéralogie — معدنيات . علم المعادن .

Géophysique — علم طبيعة الأرض . ولما كانت كلمة فيزيك قد عربت حديثاً بفيزياء جاز تسميته فيزياء الأرض .

ألفاظ الصخريّات والمعدنيّات — من المعلوم أن الجيولوجية لها صلة بكثير من العلوم كالحيوان والنبات والجغرافيا الطبيعية والفلك والجويّات وغيرها ،

فليس في الامكان البحث عن الفاظ هذه العلوم في مثل هذا المقال، وليس هذا مكانها. اما الصخور والمعادن فهي عديدة الاشكال كثيراً ما يصنفونها فصائل وأجناساً وأنواعاً على غرار تصنيف الأحياء. والصخرة في اللغة الحجر العظيم الصلب. أما في اصطلاح الجيولوجية فهي كل كتلة معدنية او من أصل عضوي تكون في أديم الأرض، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، جامدة أم مائعة أم غازية. وتتألف الصخور من المعادن [1] اي الجواهر، والجواهر من العناصر اي الأجسام البسيطة.

وهاكم أسماء بعض المعادن المهمة التي تتألف منها الصخور:

فمن المركبات السيليسية اي الصوّانية:

Quartz — المَرْو. وهو حجر صواني متبلر يكاد يكون صافيا.

Silex — الصوّانة. ويطلق الصوان على عنصر السيليسيوم نفسه، او يعرب اسم هذا العنصر، او يسمى عنصر الرمل.

Agate — العقيق: وهو صوّاناة الألومينيوم والكلس والمغنيسيوم. وهو معروف.

Calcédoine — الخلقيدوني. معربة لأن الاسم الفرنسي من Khalkêdon اليونانية اي مدينة خلقيدونية. وهذا المعدن مَرْوٌ غير صاف. وهو أشكال.

Jaspe — اليَشْب. وفي التاج أنه معرب يَشْم. والفرنسية من اصل لاتيني. واللاتينية من اصل يوناني.

Résinite — الراتينجي. مترجمة. وهو صوّاناة مائي.

---

(١) المعدن في المعجمات مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب ومعدن الفضة. وفي مستدرك التاج مركز كل شيء معدنه. والمعادن الأصول. ويتضح من ذلك ان كلمة Mine هي التي تقابل كلمة معدن لغوياً، أما في الاصطلاح الجيولوجي فهي تستعمل ايضاً بمعنى Minéral أي جوهر من جواهر الأرض. ولهذا الاستعمال وجه. فجوهر المَرْو مثلاً هو في مقام معدن (أي مركز أو أصل) لعنصر السيليسيوم، والجص في مقام معدن لعنصر الكبريت وعنصر الكلسيوم وهكذا.

Feldspath — من الألمانية بمعنى Spath des champs أي صفّاح الحقول . وسبات الالمانية هذه كانت تطلق على مواد حجارة رقاق متبلّرة . واقترح إطلاق الصُّفّاح على الفلدسبات . والواحدة صُفّاحة . وهو صوّانة مضاعف للألومين والقلي (بوطاس او صودا او كلس) . والصفاح انواع لكل منها اسم خاص به .

Mica — البَلَق . فصيلة من الجواهر مؤلفة من صواناة الألومين والبوطاس . وهي انواع . والبَلَق في اللسان والمخصص حجر باليمن يضيء ما وراءه كما يضيء الزجاج . ونقلنا استعمال هذا اللفظ لجوهر الميكا عن الاب انستاس رحمه الله في شرحه لكتاب نخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الأكفاني .

Talc — الطِلْق . والفرنسية من العربية . وفي التـاج ان الطلق معربة التلك . وهو صواناه المغنيسيا المائي . وكانت العرب تطلق لفظ الطلق على هذا المعدن وعلى الميكا أي البلق .

Chlorite — كُلُوريت . معربة . وهو يشبه البَلَق .

Amphibole — من كلمة يونانية معناها الملتبس والحائر . وهي فصيلة تشتمل على انواع من جواهر الصواناة . ولم اجد لها اسماً عربياً . ولعله يصلح تسميتها الحائرة . وهي فصيلة الحائرات .

Pyroxène — صواناة من الكلس والمغنيسيا والحديد . ولهذه الفصيلة انواع كثيرة . ولم أجد لهذا الحجر اسماً . ولعله يجوز تسميته حجر اللهيب نظراً الى المعنى الأصلي لاسمه الفرنسي .

Péridot — الزَبَرْجَد ج زَبارِج . وهو صواناة قواعد مختلفة . وفي هذه الفصيلة انواع من الجواهر الكريمة .

Zéolite — من كلمتين يونانيتين بمعنى الحجر الذي يغلي اى يجيش بقوة الحرارة . فلعله يفيد تسميته بالحجر الغالي وتسمية الفصيلة بالغاليات . وهي فصيلة صوّاناتات مائية فيها انواع كثيرة .

هذه جملة من المعادن الصوانية . اما المعادن المختلفة فمنها .

Gypse — الجِبْس . الجِبْس . وهو كبريتاة كلس مائي طبيعي متبلّر .

Sel gemme — الملح الأَنْدَراني ، خلافاً للملح البحري S. marin وكلاهما كلورور الصوديوم .

Borax — البُوْرَق . والفرنسية من العربية . وهو بوراة الصوديوم المائي .

Pyrite — البُوْرِيطس «المفردات» . وهو كبريتور الحديد . وكانت الكلمة العربية تطلق على كبريتورات معدنية مختلفة .

Marcassite — المرقشيثا . وكان القدماء يطلقون لفظ المرقشيثا على البوريطس ايضاً . وهو كالسابق كبريتور الحديد . ولكنهما يختلفان شكلاً . والكلمة الفرنسية من مرقشيثا العربية اي المعربة قديماً .

Calcaire — الحجر الكلسي او الجيري . ومن المعلوم ان كلمة كلس تستعمل في الشام وجير في مصر ، وكلاهما فصيح .

Argile — الصَلْصال . الغَضار . الطِيْن . وهو صواناة الالومنيوم المائي مخلوطاً غالباً بأكسيد الحديد واكسيد المنغنيس وغيرهما .

Dolomie — الدُوْلُومي او الدولوميّة . معربة لأنها وضعت تنويهاً باسم عالم فرنسي بالجيولوجية والمعدنيات اسمه Dolomieu وهي انواع من الحجارة مركبة من كربوناة الكلس والمغنيسيا .

Nitre ou Salpêtre — النَّطْرون . ملح البارود . هو نتراة البوطاس . وكان القدماء يطلقون كلمة النطرون على عدد كبير من الأملاح المعدنية لكونها تشبه نتراة البوطاس .

Orthose — من اليونانية بمعنى الحجر المستقيم . وهو نوع من الصُفّاح . وله اصناف عديدة .

Syénite — من Syène وهو الاسم اليوناني القديم لمدينة أسوان في صعيد

مصر . فيمكن تسميته الأسواني او حجر أسوان ، وهو من الصخور النارية .

Pierre d'aimant — حجر المغناطيس .

والفِلِزّات معروفة في الكيمياء كالحديد والنحاس والذهب والفضة والرصاص والكروم والمنغنيس الخ . ولمعادنها اسماء كثيرة . اما الاحجار الكريمة فمنها الزمرذ والزمرد Emeraude والياقوت Corindon والياقوت الأصفر Topaze والفيروز والفيروزج Turquoise واللازورد Lapis واليَشْب Jaspe واليشم Jade والمرجان Corail والماس Diamant والمها او در النجف Cristal de Roche الخ . (انظر ج ١٩ ص ٣٤٩ من هذه المجلة) .

ومن المعروف ان الصخور تقسم من حيث أصولها الى ثلاثة اقسام : الصخور النارية Roches éruptives ، والصخور المُنَضَّدَة او الراسبة R. stratifiées وهي الرَّواهص والرَّصَف واحدتها رَصَفة ، ثم الصخور المتحولة R.métamorphiques .

وها كم اسماء بعض الصخور التي تشتمل على الجواهر المعدنية والعناصر البسيطة :

Granit ou granite — الأَعْبَل . المُحبَّب . وهو صخر متبلّر مركب من المَرْو والصفّاح والبَلَق . والأعبل في اللسان حجر غليظ يكون احمر او ابيض او اسود . وأظنه الغرانيت . أما الكلمة الأعجمية فمن كلة إيطالية بمعنى المحبب أي الذي له نتوءات كالحبوب . فالمحبب إذن ترجمة هذه الكلمة .

Protogine — من اليونانية بمعنى البِكْر اي أول مولود ، فلعله يصلح تسميتها الصخرة البكر . وهي من الصخور الصفّاحية .

Gneiss — الغَنَس أو الغُنَيْس . معربة . وهي كلة سكسونية الأصل .

Porphyre — من اليونانية بمعنى الصخر الأرجواني . ويسمى الحجر السُّمّاقي نسبةً الى جبل السماق . ويطلق هذا الاسم أيضاً على الغرانيت .

Trachyte — من اليونانية بمعنى الصخر الخشِن . ولا أعرف له اسماً عربياً .

وهو أنواع منها الزجاج البركاني Obsidienne أو Verre des volcans ، ومنها حجارة بلورية كثيرة ·

Serpentine — حجر الحَيَّة · مترجمة ·

Grès — حُثّ · وفي المخصص الحث الرمل اليابس الخشن · وفي اللسان الرمل الغليظ اليابس الخشن · ولذلك أطلقت هذا الاسم على هذه الصَفاة في معجم الأَلفاظ الزراعية · وهي تحصل من تجمع ذرات من الرمل ملتحمة بلياط كلسي او صواني او حديدي · والحُثّ الصواني أشيع من غيره ·

Sable — رَمْل · وهو حُث لا لياط له ·

Craie — طباشير · وهو في القاموس « دواء يكون في جوف القنا الهندي او هو رماد أصولها » فاستعمال كلمة طباشير لهذه المادة هو إذاً اصطلاح حديث · والطباشير من الفارسية بمعنى مَنّ الخيزران · ويذهب بعضهم الى جعلها من أصل سنسكريتي ·

Basalte — نَشْف · نَشَف · وفي المخصص يقال نَشْفة ونَشَف اسم للجمع أُجري مجرى حَلْقة وحَلَق وفَلْكة وفَلَك · أما أرض النَّشَف أو قل صخورها فهي الحَرَّة · وجاءت النشف بالسين المهملة ·

Schiste — من اليونانية بمعنى المشقوق · وفي المفردات الحجر المُشَقَّق · وهي صخور تتجزأ صفائح رقاقاً ، من أنواعها اللوح الحجري Ardoise اذا أريد اللوح ، وحجر الأَلواح اذا أريد الحجر او الصخر ·

Bitume — حُمَر . كُفْر . قُفْر . قُفْر اليهود . زِفْت البحر . وله معدن معروف في بلدتنا حاصبيا من أعمال وادي التَّيْم في جبل الشيخ (جبل الثلج ، حَرَمُون ، سَنير ، او هو جزء من سنير) ·

Asphalte — زِفْت ، قار ، قِيْر ·

Pétrole — نِفْط · وقد تفشى استعمال كلمة زَيْت نقلاً عن الانكليزية

وهو خطأ . فالزيت بالعربية عصارة الزيتون ليس غير . أما عصارة النباتات السائرة فهي أدهان لا زيوت ، يقال دهن الكتان ودهن اللوز وهلم جرا .

Graphite ou blombagine — كلمة غرافيت من اليونانية بمعنى الكتابة او حجر الكتابة . وهو الحجر الرصاصي الذي يستعمل في الكتابة .

Tourbe — خُثّ . طُرْب . وأرضه مَخَثّة ومَطْرَبة على وزن مَفْعَلة. وهو تراب عضوي ينشأ من انحلال بعض النباتات كالطحلب والكنباث وغيرهما . وفي كتب اللغة الخُث الطحلب اذا يبس وقدم عهده حتى يسود . ولذلك أطلقته على هذا التراب تعميماً . اما الطرب فمعربة .

Houille — الفحم الحجري . وقد سرت على الألسنة . وهو أنواع منها المسمى Anthracite . وهذه الكلمة من اليونانية بمعنى الفحم . ولما كان هذا المعدن براقاً ثقيلاً يكاد يكون صافياً يفيد تسميته الفحم البرّاق او الصافي . ومنها اللّغْنيت Lignite وهو فحم حجري لم يكتمل ، فلعله يجوز تسميته الفحم الخام أو الفِج ، او قد يكون من المناسب تعريب الكلمتين .

Conglomérat — من اللاتينية بمعنى المتراكم . وهي حجارة مختلفة تراكمت والتحمت بلياط . سماها بعضهم الحجر المُكَتَّل . ولعله يجوز تسميتها القِضاض والواحدة قَضّة . ففي اللسان والتاج القضاض صخر يركب بعضه بعضا .

Glacier — جَمَد (أو جَليد أو صَقِيع) متراكم عظيم يتكون في الجبال العالية الباردة من جمود الثلوج ، وينحدر منها ببطء . سماه فان ديك نهر الجليد ، وقال انه سمي في بعض الكتب الكتل الجليدية . وأطلق فؤاد صروف عليه اسم الثلاّجة . وقال الأب أنستاس مَثْلَجة . وأرى أن يسمى المَجْمَدَة على وزن مفعلة من الجَمْد والجَمَد ، فتفيد معنى المكان الذي يكثر فيه الجَمَد ، كما تُضَمَّن معنى الجمد الكثير المتراكم . والمجمدة أصلح من المثلجة ، لأن الكلمة الأعجمية من الجمد اي الجليد لا من الثلج .

Volcan — البُرْكان • معربة •

Moraine — قُف ج قِفاف وأقْفاف • والكلمة الفرنسية تدل على ما يُجرف ويفتت من الصخور والحجارة بتأثير الجامد • أما القُفّ فهي في المعجمات حجارة غاص بعضها ببعض • وقد استعملتُ كلمة القف في المقتطف منذ نحو عشرين سنة •

Lave — حُمَم واحدته حُمَمَة • وهو ما تقذفه البراكين • وقالوا اللاَّبة تعريباً • والحُمَم أشكال : فالغازي منها يمكن تسميته اليَحْمُوم Fumerolles وهو في المعجمات الدخان الشديد السواد سُمي به لما فيه من فرط الحرارة • ومن الحمم الجوامد الخَبَث Scories ، تقول خَبَث البراكين S.volcaniques كما تقول خبث النحاس وخبث الحديد • ومنها الطُّفّ «معربة» Tuff • ومن المائعات الحَمَّة Source thermominérale ، والفوّارة او الحَمَّة الفوارة Geyser •

ألفاظ الأزمنة الجيولوجية — من المعلوم ان الأرض كانت في أول عهدها نجماً سديمياً Etoile Nébuleuse مضيئاً متوهجاً • ثم جعلت موادها تبرد وتتكثف حتى أتى عليها حين من الدهر بدأت فيه المياه تتغلب على النار ، وأخذ أديم الأرض يتكوّن • وقد سُمي هذا الطور بالطور الكوْني Période cosmique ، خلافاً للطور الجيولوجي P. géologique الذي جاء بعده • وبعد ان جمد أديم الأرض بالبرودة في أحقاب طويلة مرت أزمان كان ذلك الاديم فيها غير صالح للحياة فسميت عهد ما قبل الحياة Epoque azoïque • وقد يفيد تسميته عهد الجوامد او عهد اللاحياة (١) • وبعد ان غلظ الأديم وتناقصت حرارته وجعلت صخوره تتنضد وتتحول ظهرت على تعاقب العصور دلائل توحي بوجود آثار غامضة للأحياء • وقد سُمي هذا الطور الطور الاقدم او الطور البدائي Archéen • وطبقات أراضيه كثيفة جداً ، استغرق تكوّنها دهوراً •

(١) فلما أستسيغ لا النافية هذه التي أخذوا يصلونها بالأسماء ويدخلون عليها ال التعريف . ولكن للمصطلحات العلمية أحكاماً تدعونا الى التساهل والى مجاراتهم أحياناً .

أما الطبقات التي تلتها والتي كانت الأحياء المتحجرة أكبر عون على تصنيفها فهي قد تكونت في أزمان تقسم أربعة أقسام كل منها يسمى بالفرنسية Ère ٠ وهو في اصطلاح الجيولوجية حِقْبَة ج حِقَب وحُقُوب ، أو هو حُقْب وحُقُب ج أحقاب. ويعنون بذلك الدهر أي المدة الطويلة من الزمن ٠ والحِقَب الأربع هي: الحقبة الأُوَّلوية Ere primaire وهي أقدمها ٠ وتليها الحقبة الثانوية E. secondaire ، ثم الثالثية E. tertiaire ، ثم الرابعية E. quaternaire (يلاحظ أننا لم ننسب الى العدد بل الى الصفات العددية التي تفيد الترتيب اي الى أولى وثانية وثالثة ورابعة) ٠

ويقسمون الحِقَب أطواراً Périodes ، كما يقسمون هذه أزماناً أو عهوداً Ages او Epoques ٠ ويطلقون كلمة أرض Terrain في علم الجيولوجية على كل قطعة عظيمة من أديم الكرة الأرضية ، مهما يكن تركيبها ، ومهما تكن حلقتها في تصنيف الأحقاب والأطوار والأزمان ، فيقولون مثلاً أرض ثالثية ، كما يقولون أرض طباشيرية وأرض سينونية (الأرض الأولى تابعة لحقبةٍ والثانية لطور والثالثة لزمن) وكذلك يطلقون كلمة Étage على الطبقة الكبيرة من الارض أياً كانت ، وكلمة Couche على الطبقة الصغيرة[1] ٠

واسماء الأطوار بعضها لها معان قابلة للترجمة وبعضها منسوبة الى أعلام ٠

---

(١) لا يستعمل علماء الافرنج اللفظ الواحد من ألفاظ التقسيم وهي Ère و Période و Age الا في مكانه أي للدلالة على حلقة واحدة من حلقات التقسيم الثلاث ، فيقولون مثلاً Ere primaire ولا يقولون Age primaire . أما عندنا فقد رأيت الأب أنستاس مثلاً تارة يقول الحقبة الرابعية ، وطوراً العهد الرابعي . ورأيت يعقوب صروف يقول عصر البلستوسين ويفسره بقوله الدور الأحدث جداً . وهكذا انا فقد استعملت كلمة حقبة في مقالاتي العلمية لأكثر من حلقة واحدة .

وأرى انه لا يجوز ان نظل نستعمل كلمات الدهر والحقبة والطور والعهد والزمن والعصر وغيرها لكل من الحلقات الجيولوجية الثلاث دونما تمييز . بل لابد لنا من تخصيص كل حلقة بكلمة واحدة ثابتة تدل عليها ، على غرار كلمات الفصيلة والجنس والنوع والضرب في تصنيف الأحياء . ولعل مجمع مصر هو اليوم خير من يقوم بهذا العمل .

أما اسماء الأزمان فجميعها منسوبة الى أماكن تكثر فيها طباق تلك الأزمان، ولذلك يجب تعريبها .

الحقبة الأولوية — وفيها اربعة أطوار (وبعضهم يجعلها خمسة بادخال الطور الأقدم او البدائي في جملتها) وهي :

Silurien — السِّيلُوري . وهو منسوب الى Silures اسم احد شعوب بريطانية القديمة . وفي هذا الطور ازمان منسوبة الى اعلام منها الكَمْبَرِيّ Cambrien وهو من Cambria اي بلاد الغال . ومنها الأُرْدُفِيسي من Ordovices وهو الاسم اللاتيني لأحد شعوب بلاد الغال . ومنها الغُطْلَنْدي Gotblandien نسبةً الى جزيرة غطلندة في السويد .

Dévonien — الدِيْفُونِيّ . كلمة مستعارة من Devonshire في إنكلترة . وفي هذاالطور بضعة ازمان وهي : الجِيدِنِّيّ Gédinnien نسبةً الى اسم قرية يكثر فيها، والكُبْلَنْسِي Coblentzien نسبةً الى المدينة الالمانية المعروفة، والأَيْفَلِيّ Eifélien نسبةً الى نجد من نجود المانية ، والجِيفِيّ باسم بلدة فرنسية ، والفَرَسْنِيّ Frasnien باسم بلدة بلجيكية، والفامِنِّيّ Famennien وهو أعلى الطبقات الديفونية ينسب الى كورة بلجيكية .

Carboniférien — الفحمي او الكربوني . سمي بهذا الاسم لاحتوائه على اهم معادن الفحم الحجري . وفيه ثلاثة ازمان .

Permien — البَرْمِيّ . وهو منسوب الى اقليم روسي اسمه برمية .

الحقبة الثانوية — فيها ثلاثة أطوار مشهورة وهي :

Triasique : الثُلاثي او المثلَّث . وهو ادنى طور في الحقبة الثانوية . والاسم الفرنسي منسوب الى Trias . وهذه من كلمة يونانية معناها ثلاثة، وذلك إلماعاً الى أقسام الطور الثلاثة . ويشتمل على خمس طبقات (أزمان) لا فائدة لنا في ذكرها . وشرقيّ البحر الميت أرضون قليلة تنسب الى هذا الطور .

Jurassique — الجُوْرِيّ . نسبةً الى جبال جُورا لكونه مبذولاً فيها . والجوري مبذول ايضاً في قلب جبال الشام الساحلية من الجبل الأقرع شمالاً حتى جبل عجلون فسيناء . وفيه طبقات تنضدت في أزمنة عديدة . وها كم أهم ما يوجد منها في ديار الشام : الباجوسي Bajocien نسبةً الى سكان بلدة فرنسية اسمها Bayeux ، وهذه أدنى طبقة من الجوري في بلادنا . ويليهـا الباطُوني Bathonien باسم بلدة في إنكلترة ، ثم الكَلُّوفي Callovien ، ثم الأُكْسُفُرْدي Oxfordien نسبةً الى مدينة أُكْسُفُرْد في إنكلترة . ثم اللُّوزيتاني Lusitanien من لوزيتانية احدى الكور في اسبانية القديمة ايام الرومانيين . ثم السيكْواني Séquanien (وهو اسم قَـلَّ استعماله) ، والكِمِّرِيجي Kimméridgien باسم خليج في انكلترة .

Crétacique — الطباشيري . من أكثر الأطوار انتشاراً في بلاد الشام . وطبقاته كلها مبذولة فيها . وأهم أزمانه : النِيُوكومي Niocomien نسبةً الى الاسم اللاتيني لمدينة نوشاتل السويسرية . وهي أدنى طبقة من طبقات الطور الطباشيري . وفوقها الأَبْتِيّ Aptien باسم بلدة فرنسية . ثم الأُوبي او الألبي Albien نسبةً الى ولاية فرنسية اسمها Aube . ثم السِينُوماني Cénomanien ولم أجد اصل هذه الكلمة . ثم الطُوْرُوني Turonien وهو منسوب الى الاسم اللاتيني لكورة Touraine الفرنسية . ثم السِينُوني Sénonien من اسم قديم كان يطلق على إقليم شمبانية في فرنسة .

الحقبة الثالثية — طبقات هذه الحقبة كثيرة ، وينسب اليها أرضون واسعة في ديار الشام . ويقسمون الحقبة المذكورة اربعة اطوار وهي :

Eocène — فجر الحديث . والكلمة الفرنسية من لفظين يونانيين معناهما الحديث أي ابتداء الدور الحديث .

Oligocène — الحديث . والكلمة الفرنسية معناها القليل الحداثة . ويعنون بذلك ان في هذا الطور قليلاً من متحجرات الأحياء الحديثة .

Miocène — شبه الأحدث . والفرنسية من لفظين يونانيين معناهما أقل حداثة . ويعنون بذلك ان ما يحتويه هذا الطور من متحجرات الأحياء الحديثة أقل مما يحتويه منها الطور الذي يليه .

Pliocène — الأحدث . وهو معنى اللفظين اليونانيين اللذين تتألف منهما الكلمة الفرنسية . وهذا الطور أحدث أطوار الحقبة الثالثية .

وفي كتاب «طبقات الأرض او بسائط الجيولوجية» سميت هذه الأطوار الاربعة على وجه الترتيب : المبتدئ الحداثة والقليل الحداثة والمتوسط الحداثة والكثير الحداثة . ولعله من الأصلح تسميتها بما ذكرت اي فجر الحديث فالحديث فشبه الأحدث فالأحدث .

وفي كل طور من هذه الأطوار الأربعة أزمان كلها منسوبة الى أعلام أي يجب تعريبها . ولا كبير فائدة في ذكرها لأن كل من له اطلاع على قواعد التعريب يستطيع تعريبها .

الحقبة الرابعية — وهي أحدث الأحقاب ، يقسمونها طورين وهما :

Pléistocène — الجديد . والفرنسية من كلمتين يونانيتين بمعنى الحديث جداً . ومعنى ذلك عند الجيولوجيين ما يحوي كثيراً من متحجرات الأحياء الحديثة . وهذا الطور هو بدء الحقبة الرابعية أي أزمنة ما قبل التاريخ . وكانت الجامد فيه كثيرة . ولذلك سماه بعضهم الطور الجليدي . وفيه ظهر الانسان الأول .

Holocène — الأجدّ . ومعنى الكلمة الأعجمية الحديث تماماً . وفيه الزمن الحاضر .

وقد استعملنا فعل جَدَّ للحقبة الرابعية تمييزاً لها عن الحقبة الثالثية حيث استعملنا فعل حَدَث .

وفي حياة الانسان القديم بعض مصطلحات معروفة مثل Epoque paléolithique ومعناه عهد الحجر القديم ، ويشيرون بذلك الى عهد الحجر المنحوت . وسماه الأب

أنستاس عهد الحجر الأول او القُدْموس . والقدموس (وبالتاء) في اللغة الصخر الضخم العظيم . ومن معاني القدموس القديم .

ومثل E. néolithique أي عهد الحجر الجديد ، ومعناه عهد الحجر المصقول . ومثل عهد البُرُنز وعهد الحديد الخ .

هذه جملة من المصطلحات الجيولوجية لا أجزم صحتها كلها ولا صلاحها كلها ، ولكنها على ما أعتقد أصلح إجمالاً مما حوته كتب الجيولوجية العربية او المعجمات الأعجمية العربية . وهناك عدد كبير من أسماء المعادن لم أتمكن حتى الآن من دراستها ، وعدد كبير من أسماء المتحجرات النباتية والحيوانية يحار المرء في كيفية وضع أسماء عربية لها . فكثير منها تدل على أجناس وأنواع من المواليد المنقرضة ما عرفها أجدادنا العرب ولا غيرهم من الأمم في العصور الخوالي . وهي تعد بالمئات والألوف ، وضع علماء الغرب أسماءها العلمية بالطرق التي اتبعوها في وضع اسماء المواليد الحية ، اي أنهم نسبوا بعضها الى أعلام ، وسموا معظمها بأسماء من أصل يوناني او لاتيني تدل على صفات بارزة فيها . ولو حاولت الرجوع الى أصول هذه الأسماء ، وترجمتها على حسب معانيها (على غرار ما فعلت في وضع اسماء نباتات زراعية أودعتها معجمي) لاقتضاني ذلك جهد شهور بل سنين . ثم لا أدري هل الأصلح ترجمة اسماء هذه المتحجرات ، ام الأصلح تعريبها وهي بعدُ مستعملة في جميع اللغات الكبيرة ؟ فقد عمدت الى ترجمة أسماء نباتات زراعية لأنها معروفة ومستعملة في الزراعة . اما المتحجرات النباتية والحيوانية فالأقل منها يدرَّس في المدارس ، أما معظمها فلا يعرفها الا العلماء والأساتيذ الاختصاصيون . وهؤلاء لا بد لهم من معرفة اسمائها العلمية . ولذلك لعله يكون من الأصلح الاكتفاء بتعريب تلك الأسماء عدا اسماء القليل من المتحجرات التي تدرَّس في المدارس .

مصطفى الشهابي

ذيل

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

بعد أن أنهينا رسالتنا هذه الضافية ، رأينا اتماماً للفائده ان نتبعها بذيل يشتمل اما على بعض تعاليق واضافات واستدراك ، واما على الفاظ يسيرة تتعلق بالموضوع [1] .

حرف الألف

مج ٢٣ ص ١٧٠ س ٢٠ أَبَار : كسَحاب بتخفيف الباء لا تشديدها كما استدرك صاحب الجاسوس على الفيروزابادي ص ٤٩٨ .

مج ٢٣ ص ١٧٢ س ٣ أبيل : وليس هو من رؤوس النصارى كما زعم الخليل وعنه نقل الفيروزابادي واستدرك عليه صاحب الجاسوس ص ٢٨٢ .

مج ٢٣ ص ١٧٢ س ٤ اترجّ : نسبنا ما قلناه في تعريبه الى الأمير مصطفى الشهابي في معجم الالفاظ الزراعية ، سهواً ، والصحيح انه الاستاذ سعيد الشرتوني في أقرب الموارد مج ١ ص ٧٠

مج ٢٣ ص ١٧٢ س ١٩ اثفيّة : وصاغت السريانية من هذه اللفظة فعلين Tfo ثفّى و Tafi ثفّى مراراً عديدة .

مج ٢٣ ص ١٧٢ س ٢٢ اجّار : قال احمد ابن فارس صاحب مقاييس اللغة ج ١ ص ٦٣ « فأما الاجّار فلغة شامية وربما تكلم بها الحجازيون فيروى ان الرسول قال : من بات على اجّار ليس عليه ما يردّ قدميه فقد برئت منه الذمة . وانما لم نذكرها في قياس الباب لما قلناه انها ليست من كلام البادية . وناس

(١) اجتزئنا في الذيل والتصحيح بالحروف الفرنسية بدلاً من الحروف السريانية لتعذر الحصول عليها ، مع عدم وجود الحاء والخاء والصاد والطاء والغين والقاف فيها .

يقولون انجار وذلك مما يُضعِف أمرها (وبعد ما اورد عنه ايضاً استعماله لفظة (سُور) الفارسية بمعنى العُرس) قال وقد أنشد أبو بكر بن دريد :

كالحَبَش الصَفِّ على الاِجَّار

شبَّه اعناق الخيل بجيش صفٍّ على اجّارٍ يُشرفون .

ومن المعلوم ان المراد باللغة الشامية اللغة الآرامية السريانية .

مج ٢٣ ص ١٧٣ س ٣ إجّاص وقال ابن فارس ١ : ٦٤ «اجص ، الهمزة والجيم والصاد ليست أصلاً لأنه لم يجيء عليها الا الاجّاص ويقال انه ليس عربياً وذلك ان الجيم تقلّ مع الصاد .

مج ٢٣ ص ١٧٤ س ١٢ أرّخ : قال ابن فارس ١ : ٩٤ «أما تاريخ الكتاب فقد سُمع وليس عربياً ولا سُمع من فصيح» وعلق عليه في الهامش «وفي المجمل : وتاريخ الكتاب كلمة معربة معروفة» قلنا ونحن نرى أصلها مقتبساً من لفظة Yarho السريانية ومعناها تاريخ أي شهر (دليل الراغبين ٣١٦) .

مج ٢٣ ص ١٧٤ س ١٢ أركون : قال الزمخشري في الفائق ص ٥٠٢ (عمر : دخل الشام فأتاه أركون قرية هو رئيسها ودهقانها الأعظم : أفعول من الركون لأن أهلها اليه يركنون . او من الركانة لأن الرؤساء يوصفون بالوقار والرزانة في المجالس) اهـ .

قلنا اللفظة يونانية Arqon ومعناها رئيس ، زعيم ، قائد (برون ٢٩) ومن اليونانية اخذتها السريانية Arqouno, Arqo . واستعملت في ترجمة الانجيل العربية القديمة المطبوعة في رومية «فان اركون هذا العالم قد دين ، يوحنا ١٦ : ١٢ . لأن اركون هذا العالم يأتي ١٤ : ٣٠» وكذلك في ترجمات خطية منها نسخة في خزانتنا كُتبت سنة ١٤٥٧ م وقال فيها الشيخ البستاني في قطر المحيط ١ : ٢١ «الأُرخون يوناني ، الرئيس والمقدم»[1] .

(١) ومن قبيل هذا التعليل المغلوط قول الزمخشري في الفائق ١ : ١٦٢ « وسمي الاسقفّ لخشوعه من الأسقف وهو الطويل المنحني » ! واللفظه يونانية تعني : رقيب ، ناظر .

مج ٢٣ ص ١٨٢ س ٩ أَيِّل : ولا عبرة بما تعمَّل فيه الخليل في ما نقله عنه صاحب المقاييس ١ : ١٥٨ و ١٥٩ قال « والاصل الثاني قال الخليل ، الأَيِّل الذكر من الوعول والجمع ايائل وانما سُمي أَيِّلا لأنه يؤول الى الجبل يتحصن » ! قلنا : لعل الأَيِّل وحده من صنوف الحيوان يؤول الى الجبل ليتمّ فيه هذا المعنى ؟ وانما اللفظة سريانية وعبرية (برون ١١) ومنهما أخذتها العربية .

حرف الباء

مج ٢٣ ص ٣٢٥ س ٢٠ برنساء : وأورد ايضاً صاحب الجاسوس البرنساء والبرنشاء بالشين المعجمة ص ١٥٧ .

مج ٢٣ ص ٣٢٥ س ١٠ بِرْكة : جاء في المقاييس ١ : ٢٣٠ « قال الخليل البِرْكة شبه حوض يُحفر في الأرض ولا تُجعل له اعضاد فوق صعيد الارض .

مج ٢٣ ص ٣٢٥ س ١٢ بطيخ : قال ابن فارس ١ : ٢٦١ « بطخ ، الباء والطاء والخاء كلمة واحدة وهو البِطّيخ ، وما أراها أصلاً لأنها مقلوبة من الطِبّيخ ، وهذا أقيس وأحسن اطّراداً وقد كُتب في بابه » وورد في الهامش عن اللسان « والطّبيخ بلغة اهل الحجاز البطّيخ وقيّده ابو بكر بفتح الطاء » وجاء في سفر العدد ١١ : ٥ « والقثّاء والبطّيخ » واللفظة سريانية وعبرية . (برون ٤٨٣) .

مج ٢٣ ص ٣٢٨ بَلاَّن : قال الزمخشري في الفائق ص ١١١ عن ابن عمر قال الرسول : ستفتحون ارض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها البلاّنات . فمن دخلها ولم يستتر فليس منا . واحدها بَلاّن وهو الحمّام ، من بلّ بزيادة الالف والنون لأنه يبلّ بمائه او بعَرَقه من دخله ، ولا فعل له انما يقال دخلنا البلاّنات عن ابي الأزهر » .

قلنا ان تأوّل الزمخشري معنى هذه اللفظة هو تمحّل صريح فانها يونانية النجار

Balaneion (برون ٤٧) ومن اليونانية استعارها السريان فقالوا Balani (بالاني) واختصروا فقالوا ايضاً Bano . وقال فيها الشرتوني ١ : ٦٠ البلاّن : الحمّام معرّب ج بلاّنات ولم يذكر اصلها اليوناني . فمن السريانية اقتبسها العرب .

مج ٢٣ ص ٣٢٩ س ٦ بَلُّور: قال الشرتوني ١ : ٥٨ « البِلَّور كتنُّور وسِنَّور وسِبطر ، جوهر أبيض شفّاف ، واحدته بلّورة ، ونوع من الزجاج » وهي في السريانية Bélouro : بلّور ، در لؤلؤ ، مرجان مخنقة قلادة (الدليل ٦٨) وفي كنز اللسان السرياني ص ٦٧ « Bélouro : جوهر رقيق وشفّاف ، Béroulo ص ١٠٢ : حجر كريم ، زجاج » وهي بمعنى الدرّ فارسية الأصل كما ذكر برون في معجمه ص ١٤٦ على ان دوفال نظمها في سلك الالفاظ السريانية (٣ : ٩١) ؟

مج ٢٣ ص ٣٢٨ س ١٨ بَليخ : وقال ماسبيرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق ص ١٤٩ رقم ٤ في الهامش « هو في الآثورية Balikhi وسماه اليونان بيليكوس Bilichos » سُمي بهذا لسيره .

حرف التاء

مج ٢٣ ص ٣٣٢ س ٣٠ تَرِشَ : قال ابن فارس ١ : ٣٤٣ (تَرِش التاء والراء والشين ليس اصلاً ولا فرعاً سوى ان ابن دريد (الجمهرة ٢ : ١٠) ذكر ان التَّرْش خفّة ونزق يقال تَرِش يَتْرَش تَرَشاً وما أدري ما هو) اه

قلنا هو مما توافقت فيه السريانية والعربية فقد ورد في الأولى Trach ساء خُلُقاً تهدّد (الدليل ٨٥٢) وفي الثانية « تَرِش تَرَشاً : كان سيّء الخلق ضنيناً (الشرتوني ١ : ٧٥) .

مج ٢٣ ص ٣٣٤ س ٧ تِكّة : قال ابن فارس ١ : ٣٣٩ « التاء والكاف ليس اصلاً ، ويُضعف امره قلة ائتلاف التاء والكاف في صدر الكلام ، وقد جاء التِكّة » فهي معربة من السريانية .

مج ٢٣ ص٣٣٦ س ٧ تلميذ : وقال ابن فارس ١ : ٣٥٣ « تلم : التاء واللام والميم ليس باصل ولا فيه كلام صحيح ولا فصيح . قال ابن دريد في التّلام (بفتح التاء وتشديدها) انه التلاميذ وأنشد : كالحاليج بايدي التّلام [والحلاج منفاخ الصائغ] والبيت للطرمّاح . وفي الكتاب المنسوب الى الخليل : التَلَم (بفتح التاء واللام) مَشَقّ الكِراب بلغة أهل اليمن (والكِراب قلب الارض للحرث واثارتها للزرع) .وذكر في التّلام نحواً مما ذكره ابن دريد . وما في ذلك شيء يُعوّل عليه ، وذلك أن التلميذ ليس من كلام العرب » اه .

فاللفظة سريانية كما قلنا ، وذكر برون (٢٧٤) انه ورد في العبرانية (تلميذ) بمعنى متعلِّم .

مج ٢٣ ص ٣٣٧ س ١٦ تنّور : وجاء في الفائق للزمخشري ص ١٣٧ « قال ابو حاتم : التنّور ليس بعربي صحيح ولم تعرف له العرب اسماً غيره فلذلك جاء في التنزيل لأنهم خوطبوا بما عرفوا . وقال ابو الفتح الهمداني ، كان الاصل فيه نوّور فاجتمع واوان وضمة وتشديد ، فاستثقل ذلك فقلبوا عين الفعل الى فائه فصار ونور فأبدلوا من الواو تاء » !!

مج ٢٣ ص ٣٣٨ س ٢ : سرى تداوله الى اللغات الشرقية ومنها العبرية والعربية .

مج ٢٣ ص ٣٣٨ س ٢١ تيمن : قال العلامة مار يعقوب الرهاوي في الايام الستة ص ٨٣ « ريح التيمن يتأتى اسمه من مدينة التيمن ، وهي في جنوبي منازل العبرانيين بناها بنو التيمن ، أحد ثلاثة من القدماء الذين سموا بهذا الاسم اما من آل اسمعيل واما من أنسال بني عيسو واما من ذراري بني قطورة . ومن هذا ، على ما نرى سمى العبرانيون ونحن الآراميون ريح الجنوب . قال : وأما ريح الجربياء فلا نعلم سبب اطلاق بني آرام الاقدمين هذا الاسم عليها » اه

وقد ورد في التوراة اسم تيما من بني اسمعيل (تكوين ٢٥ : ١٥) وتامان بن اليفاز بكر عيسو (تكوين ٣٦ : ١٥) .

حرف الجيم

مج ٢٣ ص ٣٤٢ س ١٢ جُزاف : قال ابن سيده ١ : ٢٥٢ « عن صاحب العين : الجُزاف دخيل ، بعته واشتريته بالجُزافة والجُزاف ، وهو البيع بالحَدْس بلا كيل ولا وزن » اه ·

قلنا نراه لفظاً سريانياً Gzofo جزاف ، تخمين ، عدم تقدير (دليل الراغبين ١٠٢) اما الشرتوني فقال هو كلمة فارسية (ص ١٢١) وكذا المطران ادى ٤١ ·

مج ٢٣ ص ٣٤٣ س٣ جصّ : وفي مقاييس اللغة ١ : ٤١٥ « الجيم والصاد لايصلح ان يكون كلاماً صحيحاً ، فأما الجِص فمعرَّب والعرب تسميه ، القَصّة » اه ·

مج ٢٣ ص ٣٤٣ س ٣ جعقيل : كنا نقلنا تعريف هذه اللفظة عن معجم الألفاظ الزراعية لحضرة الأمير الشهابي وأثبتناها بالقاف سهواً وصوابه ثم بالفاء كما أثبتها المؤلف · ونقلنا ايضاً عنه ان من أسمائه عدس الأسد وهو سهو منه صححه في رسالة منه الينا بقوله « والصحيح انه أسد العدس ، قال ابن البيطار في مفرداته سمي بذلك لأنه اذا نبت بين العدس أهلكه كله · ومن أسمائه أيضاً خانق الكرسنة للسبب نفسه » اه · واما انه ورد بالسريانية بالقاف (جعقيل) كما أثبتته معاجم ابن بهلول واللباب ودليل الراغبين فللقارئ خلاصة جوابنا الى حضرته : ان هذه اللفظة Geaaqilo , Gaaglo اوردها الحسن ابن بهلول في معجمه ثلاثاً في مج ١ عمود ٩٠ و ٣٧٥ و ٥٠٩ ــ ٥١٠ قال « الجعقيل ، قال جبريل يسمى باليونانية (اوروبانخي) كذا وتفسيره خانق الكرسنّة وحكى عن ديوسقوريدس ان أهل قبرس يسمونه بورسيني · وقال في لفظة (اوروباقجي Orobagché نقلاً عن شملي انها عقاقير تنبت بين الحبوب وتضرّ في نموها » · فضبطها في المواضع الثلاثة بالقاف لا بالفاء مما يزيل كل ارتياب باحتمال وقوع تصحيف فيها من باب السهو او غلط النساخ · ورواية ابن بهلول ترجح على

رواية ابن البيطار لتقدم زمانه عليه بنحو من ثلثمائة سنة ، ولاستناده الى الطبيبين جبريل وشملي اللذين كانا في أوائل المئة التاسعة للميلاد وأواخرها) . واسم هذا النبت الفرنسي Orobanche منقول من اليونانية Orobagché وهو الذي حققناه بعد ما صحّفه النساج . (انظر Petit larive et fleury ص ٩٦٣ ومعجم Theil اللاتيني الفرنسي ص ١١١١) وقد أحصى دوفال هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية العبرية ، مج ٣ ص ٩٦ . ولا نرى الاستدلال بلهجة العامة اذا كان فلاحو جبل الشيخ يلفظونها بالفاء ، وكثيراً ما يختلف الاصطلاح بين بلدين وفي زمان دون غيره .

جِلواز : جاء في الفائق ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ « عثمان ، قال عُقبه بن صَوْحان : رأيت عثمان نازلاً بالأبطح واذا فسطاط مضروب وسيف معلّق في رفيف الفسطاط وليس عنده سيّاف ولا جلواز . الجلواز : الشُّرَطي سمي بذلك ان كان عربياً ، لتشديده وعُنفه من قولهم : جلز في نزع القوس ، اذا شدد فيه » قلنا وفي السريانية تجد هاتين اللفظتين بالمعنى نفسه فالفعل Glaz مدلوله ، نزع . اعدم ، ظلم ، مكر ، صدّ . و Galwozo : شُرَطي او امين القاضي (دليل الراغبين ١٠٨) فلعل المادة من توافق اللغتين .

مج ٢٣ ص ٣٤٤ : تعليق على الحاشية الأولى

أما مؤلف الجاسوس فزعم ص ٥١٢ ان الاصمعي لم ينكر كون (الجنس) عربياً وانما أنكر هذا الاشتقاق والاستعمال واحتج لزعمه بقوله « ألا تراهم لا يقولون في الضرب بمعنى الجنس ضارَبَه بمعنى شاكله ولا في الصنف صانَفَهُ .. »اه وزعمه هذا مردود .

مج ٢٣ ص ٣٤٥ س ١٨ جهنّم [1] : نستدرك ما كنا أوردناه في أصل هذه اللفظة الآرامي بقولنا : انها لفظة عبرية النجار ومن العبرية اقتبستها السريانية

(١) الذي أوردناه عن الكليات نقلناه من أقرب الموارد ١ : ١٤٥ .

واليونانية والعربية والانلاتينية والفرنسية ٠

أصلها gêi hinnom ومعناها وادي هِنُّوم وهو وادٍ في جنوبي اورشليم تحت أسوارها كان في بادئة الأمر متنزّهاً، وكان اليهود قد أنشأوا فيه هيكلاً لوثن اسمه « مولوخ » وضحّوا فيه ذبائح بشرية ٠ فهدمه الملك يوشيّا دكًّا وجعله موضعًا للقاذورات حتى استفظعه اليهود وأمسى عندهم مرادفًا للجحيم (انظر سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٠ ومعجم Petit larive et Fleury ص ٥٤٣) ٠

مج ٢٣ ص ٣٤٥ س ٢١ جيّار : وقال ابن فارس ١ : ٤٩٨ « فأما الجيّار وهو الصاروج فكلمة معرّبة قال الأعشى :

بطينٍ وجيّارٍ وكلسٍ وقَرْمَدِ » (١)

حرف الحاء

مج ٢٣ ص ٤٨١ س ١٣ الحاج : وفي مقاييس اللغة ٢ : ١١٤ « فأما الحاج فضرب من الشوك وهو شاذ عن الأصل » ٠

مج ٢٣ ص ٤٨٣ س ١ يضاف الى لفظة :

الحُبّ : وفي المحكم انه معرّب حنب ٠ قال ابو سليمان السجستاني المنطقي « الا تعلم ان الشيء على فنون كالسياسة في السائس وكالماء في الحُبّ ، وكالحُبّ في البيت » (المقابسات لأبي حيان التوحيدي ص ٢٨١) وقال البديع الهمداني في المقامة المضيرية : « وكيف قُيِّر حُبُّه » ص ١١٦ ٠

مج ٢٣ ص ٤٨٣ س ٢ حبق : قال ابن فارس ٢ : ١٣٠ « الحاء والباء والقاف ليس عندي بأصل يؤخذ به ولا معنى له ، لكنهم يقولون حبّق متاعه ، اذا جمعه ولا أدري كيف صحته ٠ »

قلنا اللفظ سرياني الأصل Hbaq : حبق ضمّ ، ومبالغته Habéq :

---

(١) مصدر اللفظة السريانية هو دليل الراغبين ص ١٠٣ ٠

مج ٢٣ ص ٤٨٣ س ١٥ حُتامة : ومن باب التعمّل ما ارتآه فيها صاحب مقاييس اللغة ٢ : ١٣٥ قال « وفي الباب كلمة أخرى ويقرب أيضاً من باب الابدال ويقولون : الحتامة ما بقي من الطعام على المائدة ، وهذا عندي من باب الطاء لأنه شيء يتحطّم أي يتفتّت ويتكسّر وقد مرّ تفسيره » .

مج ٢٣ ص ٤٨٤ س ٩ حرذَون : جاء في المقاييس ٢ : ٥٢ « الحاء والراء والذال ليس أصلاً وليست فيه عربية صحيحة وقد قالوا ان الحرذَون دويّبة .

مج ٢٣ ص ٤٨٦ س ١٢ حِمَّص : قال الشهابي ٥٠٨ : حِمّص حِمَّص : نبات زراعي عشبي سنوي حبّي من القطانيات الفراشية » قلت هو عندي حرف سرياني Hemsé استناداً الى قول ابن فارس ونصّه ٢ : ١٠٥ « الحاء والميم والصاد ليس أصلاً يقاس عليه وما فيه قياس . ويجوز ان يكون من جفاف في الشيء . ويقولون انحمص الورم اذا سكن ، هذا أصحّ ما فيه والحَمَصيصُ : بقلة » اه .

حرف الخاء

مج ٢٣ ص ٤٩٠ س ٨ خَبَش : في المقاييس ٢ : ٢٢١ « الخاء والباء والشين ليس أصلاً : وربما قالوا خَبَش الشيء جَمَعَه ، وليس هذا بشيء » .

مج ٢٣ ص ٤٩٠ س ٨ خَبَص : وورد أيضاً في الموضع عينه « خبص : الخاء والباء والصاد قريب من الذي قبله . يقولون خبص الشيء خلطه » .

قلنا في السريانية Hbash : جمع ، أحاط . و Hbas (حْباص) خبص ، خلط ، (الدليل ٢١٦ و ٢١٧) فنرجح أصل هذين اللفظين السرياني .

مج ٢٣ ص ٤٩٠ س ٢٣ خشل : وفي المقاييس ٢ : ١٨٣ ــ ١٨٤ « يقال لرؤوس الحَلى من الخلاخيل والاسورة خَشْل ، وهذا على معنى التشبيه أو لأن ذلك أصغر ما في الحَلْي » فنستدل بهذا ان ابن فارس كان يثبت فصاحة هذه اللفظة .

مج ٢٣ ص ٤٩١ س ١١ خصين : جاء في المقاييس ٢ : ١٨٧ « خصن :

الخاء والصاد والنون ليس أصلاً . وفيه كلمة واحدة ان صحّت، قالوا : الخَصين الفأس الصغيرة » .

مج ٢٣ ص ٤٩٢ س ٢ خَوْخ : قال الشهابي ص ٤٨١ « وفي المخصص الخوخ والفِرسِك والدراقن واحد . قلت وهي تدل على هـذا الشجر المثمر المشهور من فصيلة الورديات » وقال ابن فارس ٢ : ٢٢٧ « الخاء والواو والخاء ليس بشيء وفيه الخَوْخُ : وما أراه عربياً » .

قلنا هي في السريانية Hawho , Haho , Hoho , Hahé وتمالئ دوفال في نجاره السرياني .

حرف الدال

مج ٢٣ ص ٤٩٤ دِجلة : اسم النهر المعروف الذي أطلق عليه كتاب العرب اسم نهر بغداد (معجم البلدان والفيروزابادي وأقرب الموارد) قال ابن فارس ٢ : ٣٢٩ « قال ابن دريد : كل شيء غطّيته فقد دجّلته ، وسُميت دِجلة لأنها تغطي الأرض بالجمع الكثير، وفي المجمل لأنها تغطي الأرض بمائها » .

قلنا وهل نهر كبير لا يفيض فيغطي الأرض بمائه ؟ فما هذا التعليل المتكلف واللفظة أعجمية معربة من اسم النهر السرياني Deklath ؟ قال ماسبيرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق المطبوع سنة ١٩٠٧ ص ١٤٨ رقم ٢ في الهامش « دجلة : هو في الاكّدية Idigna او Idignou ومعناه النهر العالي الضِفاف . والصيغة السامية هي Idiklat او Diklat . والتحليل اللغوي المعتمد عليه في الاصطلاح المدرسي الذي يخول هذا الاسم معنى السهم بسبب سرعته ، هو ايراني الأصل » اه .

فالعجب من أئمة العربية الذين تخيلوا فيها أساس اللغات فعمدوا الى تعمُّل مملّ تافه في الاشتقاق ليقحموا فيها كل كلمة بادية العجمة قسراً متغافلين عن السند . ولا عبرة أيضاً بما ارتآه العلامة المطران موسى ابن كيفا السرياني المتوفى سنة ٩٠٣ م في كتابه الأيام الستة ان اشتقاق دجلة من لفظة دقل

Dkal السريانية ومعناها (غَربَل) وذلك لأن شأن دجلة شأن المغربل الذي يضايق البُرّ بغربلته اياه رفعًا وحطًّا ، وذلك لضيق دجلة وسرعة جريها بين صعود وهبوط » وعنه نقل ابن الصليبي هذا الرأي المضعوف في تفسيره للتوراة .

مج ٢٣ ص ٤٩٤ س ٢٠ درّاقن : نصحح غلطاً وقع سهواً في لفظة دراقن فقد كُتبت Drùqino وصوابها Durqino وكنا ذكرنا أصلها السرياني استناداً الى رأي دوفال ٣ : ١٠١ اما الآن فنرجح أصلها اليوناني Dorakinon على رأي برون ص ١٠٢ .

مج ٢٣ ص ٤٩٥ س ١٠ درب : قال ابن فارس ٢ : ٢٣٤ ودرب المدينة معروف فان كان صحيحاً عربياً ، فهو قياس الباب ، لأن الناس يَدْرَبون به قصداً له .

مج ٢٣ ص ٤٩٦ س ٥ دَسْكَرة : هذه اللفظة فارسية (معجم برون ٩٩ ودوفال ٣ : ٢١٨) .

مج ٢٣ ص ٤٩٧ س ٥ دُلب : وفي المقاييس ٢ : ٢٩٤ « الدال واللام والباء ليس بشيء . والدُّلب فيما يقال شجر » .

مج ٢٣ ص ٤٩٧ س ٢٠ دَنّ : قال الفيروزابادي ٤ : ٢٢٣ « الدنّ الراقود العظيم أو أطول من الحُبّ أو أصغر » وقال الشرتوني ١ : ٣٥٣ « الدَنّ بالفتح الراقود العظيم لا يقعد الاّ أن يُحفر له » وقال في الراقود : « دنّ كبير او طويل الأسفل كهيئة الاردبّة يطلى داخله بالقير وهو معرّب » .

قلنا الدَنّ لفظة اثورية الأصل أورها برون في معجمه ص ٩٨ Dannu وتوافقت فيها السريانية Dano : دَنّ ، برميل ، حُبّ ، و Danto : دنّ ، حُبّ (الدليل ١٥٣) ومن السريانية اقتبستها العربية .

حرف الراء

مج ٢٣ ص ٥٠٥ س ٦ رحمان : وقال مار افرام المتوفى سنة ٣٧٣ م في ميمر له في المائدة ص ١٠٥ ـ ٦ « ونسج لها (للنفس) الرحمان ثوب النور والبسها اياه » .

مج ٢٣ ص ٥٠٥ س ١١ رِدآء : قال ابن فارس ٢ : ٥٠٧ « ومما شذّ عن الباب الرِداء الذي يُلبس ما أدري ممَّ اشتقاقه وفي أي شيء قياسه » قلنا ورد في السريانية Rdhidho و Ardhidho : ردآء ، وشاح ، ولا ندري اذا كانت العربية اقتبست لفظتها منها ؟

مج ٢٣ ص ٥٠٥ مِرْدَن : قال ابن فارس ٢ : ٥٠٥ « ردن : الراء والدال والنون ، هذا باب متفاوت الكَلِم لا تكاد تلتقي منه كلمتان في قياس واحد . فكتبناه على ما به ولم نعرض لاشتقاق أصله ولا قياسه . فالرّدن مقدم الكُمّ .. ويقولون ان المِرْدَن المِغزل الذي يُغزل به الرّدن » .

قلنا جاء في السريانية Mardno : مِرْدن ، مغزل . والفعل Rdan : ردَن . غزل . نسج . فلعله من توافق اللغتين .

مج ٢٣ ص ٥٠٥ س ١٩ رَقّ : جاء في مقاييس اللغة ٢ : ٣٧٧ « ومما شذّ عن البابين (الرّق) ذكر السلاحف ان كان صحيحاً » .

قلنا ورد في لغتنا Raqo : رَقّ ، عظيم السلاحف (الدليل ص ٧٥٣) .

حرف الزاء

٢٤ ـ ١ يضاف الى زبون : وفي اللسان هو مولَّد وجاء في رسالة البديع الهمذاني الى ابي عبد الله الحسين بن يحيى « فأنا زبونه » ص ١٢٨ .

مج ٢٤ ص ٥ س ١٥ زفت : قال ابن فارس ٣ : ١٥ « الزاء والفاء والتاء ليس بشيء الاّ الزّفت ولا أدري أعربي أم غيره الا انه قد جاء في الحديث « المزفَّت » » .

مج ٢٤ ص ٧ س ٣ زنر : وقال ابن فارس ٣ : ٢٨ « الزاء والنون والراء ليس باصل لأن النون لا يكون بعدها راء ، على ان في الباب كلمة يقولون ان الزنانير الحصى الصغار اذا هبت عليها الريح سمعتَ لها صوتاً » ولم يذكر الزنّار .

مج ٢٤ ص ٧ س ١٠ زوّق : جاء في المقاييس ٣ : ٣٧ « زوق : الزاء والواو والقاف ليس بشيء . وقولهم زوّقت الشيء اذا زيّنته وموّهته ، ليس باصل ، يقولون انه من الزاووق وهو الزئبق وكل هذا كلام » !

قلنا والحالة هذه ان الكلمة عندنا معربة من السريانية Zaièq : زوّق ، زيّن . سرّح الشَعَرَ (دليل الراغبين ١٩٥) .

مج ٢٤ ص ٧ س ١٤ زيّح : ووقع هذا في بعض ميامر القديس افرام ٩٢ : ٤ Zaïhat « لأنها في مركبتها زيّحتْ بوسفَ البارّ » وهذه الميامر نشرها البطريرك افريم رحماني .

مج ٢٤ ص ٧ زيف : وقال ابن فارس ٣ : ٤٢ « زيف : الزاء والياء والفاء فيه كلام وما أظن شيئاً منه صحيحاً ، يقولون : درهم زائف وزَيْف » اه .

قلنا في السريانية فعل Zaièf : زيّف ، حرّف ، جحد ، فنّد الخ ومشتقاته (الدليل ١٩٥) .

حرف السين [1]

مج ٢٤ ص ١٢ س ١٤ سُعْد : جاء في أقرب الموارد ص ٥١٧ « نبت له أصل تحت الأرض أسود طيّب الريح » وقال الشهابي في معجمه ص ٢١١ « Cyperus (Souchet) جنس السُعد والديس وهي نباتات من فصيلة السُعديّات » وفي دليل

(١) سرافي : قال مار يعقوب الرهاوي في كتابه الأيام الستة ص ١١ « السرافي لفظة عبرية معناها حار ومحرق ومزيل كل مادة ردية ، أرادوا به فوز الملائك السوارف بالسهم الأوفى من الاستنارة بالنور المظيم الأول » وقال ابن بهلول أيضاً ١٣٩٣ انه لفظة عبرية Srofo والجمع ساروفيم وسوارف . وفي نبوة اشعيا ٦ : ٢ « السرافيم واقفون فوقه » ومن العبرية أخذته السريانية ثم العربية .

الراغبين ص ٥٠٣ Saado , Seedo : سُعجر نبت سودٌ ذات رائحة عطِرة ومثله Segdo ص ٥٧٧ : نبت في أصله سُعجر سود . قلنا انه ينبت على سواحل نهر دجلة وهو نوعان أسود وأبيض ضارب الى السمرة وهو أجوده . وأرى أصل اللفظة سريانياً .

مج ٢٤ ص ١٨ س ٦ سماء : وبالسريانية Sbmaio قال العلامة مار يعقوب الرهاوي في كتابه الأيام الستة ص ٧٦ ما ترجمته « السماء ليست من الفاظ لساننا الآرامي الذي هو لسان ما بين النهرين ، لكننا استعرناها من اللسان العبراني وتداولناها من عهد عهيد كأنها من الفاظنا . وخفي هذا على كثير ممن يتكلم أو يقرأ أو يكتب بهذه اللغة . ومن أجل هذا هي عندنا مفرداً وجمعاً . ولا نستطيع تبديلها لعجمتها وليست من كلامنا . وكذلك هي في اللسان العبري فانها تلفظ مفرداً ويراد بها الجمع وهي بالمفرد Shoumo والجمع Shoumaïm ومثلها مثل لفظة الماء معنىً وتركيباً (وصيغةً) » اه . قلنا وأما العرب فاعتبروا لفظة السماء مفردة وجمعوها بأسمية وسماوات وسُمِيّ وسِمِيّ (الشرتوني ١ :٥٤٥) .

مج ٢٤ ص ١٨ س ١٣ سمخ : وفي المقاييس ٣ : ١٠٠ « السين والميم والخاء ليست أصلاً لأنه من باب الابدال والسين فيه مبدلة من صاد .

مج ٢٤ ص ١٩ س ٣ سَمُّور : قال الشرتوني ٥٣٩ ـ ٥٤٠ « السمّور حيوان برّي يشبه السنّور يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وإدفائها وحسنها » وقال الشهابي ص ٤١٣ « سمّور Martre ou Marte جنس الخزّ والسمّور وهي حيوانات من فصيلة السموريّات ورتبة اللواحم . وقال أيضاً Martre Zibeline سمّور فراؤه مشهورة وهو يصاد في جبال آسيا الباردة » .

قلنا نرى هذه اللفظة سريانية ذكرتها المعاجم كنز اللغة واللباب والدليل ومعجم برون Samro وعدّ فيه برون ص ٣٩٧ اربع لغات Samro , Semro Samouro , Smoro .

مج ٢٤ ص ١٩ س ١٧ سِنَّور ، وسَنَوَّر : قال ابن فارس٣ : ١٦٠ « ومما وضع وضعاً وليس قياسه ظاهراً (السِنَّور) معروف (والسِنَوَّر) السلاح الذي يُلبس »

مج ٢٤ ص ٢٠ س ١٨ سِوار : وقال ابن فارس ٣ : ١١٥ « أما سِوار المرأة والأُسوار بضم الهمزة وكسرها من اساورة الفرس وهم القادة ، فأراهما غير عربيين » .

حرف الشين

مج ٢٤ ص ١٦٢ س ٣ شِبِتْ ، شِبِت . (سنوت) : قال فيها الأمير الشهابي في معجمه ص ٤٨ « Aneth بقلة من التوابل وفصيلة الخيميات قريبة من الشمار الحلو وهي تزرع ... وللشبث والشِبِت أشباه في بعض اللغات السامية كالآرامية والآشورية » اه .

قلنا ورد في السريانية Shbétho : شِبِّت ، سِبت ، بقلة يتداوى بها (الدليل ٧٦٦) وفي معجم برون ص٦٥٦ Anethum , Shbétho باللاتينية ، وبالعربية : سُبْت . اه

مج ٢٤ ص ١٦٢ شَبُّور : قال الجاحظ في الجزء الرابع من الكتاب الأول في الحيوان ص ٣٦ و ٣٧ « لو نفخت بالشبّور لم ينفعك » والشبّور شيء مثل البوق وليست اللفظة فارسية مثلما قيل في التذييل ص ٥٢٥ لكنها مأخوذة من العبرية ومعناها عندهم البوق الذي يستعمل في الأعياد الكبرى . وقال الشرتوني : الشَبور (بتخفيف الشين) البوق أو النفير معرّب شوفر بالعبرانية ج شبّورات وشبابير . وفي قطر المحيط ١ : ١٠٠٥ الشَّبُّور : البوق ، معرب .

وأوردها أبو حيان التوحيدي بقوله : « وقال ابن سورين ، كان ابو محمد (المهلبي) يطرب على اصطناع الرجال كما يطرب سامع الغناء على الشبابير » [كنوز الأجداد للرئيس السيد محمد كرد علي مج ٢٥ من مجلة المجمع ص ١٩٨]

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٢٧٥ «وأول يوم منه (من تشري) عيد رأس السنة يُنفخ فيه بالبوق والسوافر وهي قرون الكباش» .

اللفظة عبرية الأصل ومنها اقتبستها السريانية Shifouro : صُوْر ، بوق (الدليل ٨١١) وقال فيها برون Shifourto لفظة عبرية وباللاتينية : Tuba ووردت في مداريش (ترانيم) القديس افرام في البتولية ص ١٤ عد ١٤ Shifouré de Maamouditho : شبابير المعمودية .

ومن العبرية أيضاً أخذتها العربية .

شريجة : قال الشرتوني ١ : ٥٨١ «الشريجة ، جوالق كالخرج يُنسَج من سعف النخل يُحمل فيه البطّيخ» وشرج الشيءَ جَمَعَهُ . وشرّج الخريطة بمعنى شرجها . وشرج الخريطة : داخل بين أشراجها وشدّها» اهـ . وفي السريانية Srag : سرّج ، ضفَرَ ، نسجَ . و Srigto . شريجه جوالق من خوص ، حصيرة . (دليل الراغبين ٥١٣) وهذه اللفظة لم يذكرها ابن فارس . فأراها من توافق اللغتين لورودها فيهما اشتقاقاً .

ص ١٦٣ س ١٩ شعوذة : قال ابن فارس ٣ : ١٩٣ «قال الخليل : الشعوذة ليست من كلام أهل البادية» .

ص ١٦٤ س ١١ الشقل : قال ابن فارس ٣ : ٢٠١ «الشين والقاف واللام ليس بشيء وقد حُكي فيه ما لا يعرّج عليه» .

ص ١٦٥ س ٢١ شليل : قال ابن فارس ٣ : ١٧٥ «فاما الشليل فقال قوم هو الحِلْس . واى ذلك كان فانما هو تشبيه واستعارة» .

مج ٢٤ ص ١٦٩ س ١٥

اسماء الشهور

رأينا أن نورد ثبتاً باسماء الشهور البابلية والعبرية يعرف منه أصل اسماء الشهور السريانية :

اسماء شهور البابليين	الشهور العبرية: نقلاً عن قاموس الكتاب ١ : ٥٣٩ ومرشد الطالبين ١ ٥	الشهور العبرية: نقلاً عن البيروني ٢٧٥ — ٢٨٢
(نيسان) نيسانو Nissanu , Nisan	نيسان	نيس
(ايّار) ايارو Iyaru , Aiar	زيو(١)	اَيَر
(حزيران) سيوانو Siwanu , Siwan	سِيْوان (٢)	سيون
(تموز)(٣) دوموزو Dummuzu , Tammouz	تموز	تمّز
(آب) آبو Abu , Ab	آب	اوب
(ايلول) اولولو Ululu	ايلول	ايلل
(تشرين الاول) تسريتو Tisritu , Tešrit	ايثانيم أو تسري	تشري
(تشرين الثاني) أرَح شمنا (٤) Arahshamna وفي كتاب البلاد الاثورية الواردة في الكتاب المقدس ص ١٠٤ سُمّي : Marheswan وكذلك يسميه العبرانيون مرحشوان	بُوْل(٥)	مرحشوان
(كانون الاول) كيسليو Kisliwu	كسلو(٦)	كسليو

(١) ورد في سفر الملوك الأول ٦ : ١ و٣٧ (الترجمة الشدياقية والبروتستانتية، وهو في اليسوعية وفي سفر الملوك الثالث ٦ : ١ . وأما في الترجمة السريانية البسيطة فورد : أيار) .

(٢) ورد في سفر استير ٨ : ٩ « في الشهر الثالث الذي هو شهر سيوان (المصادر نفسها ، وأما في البسيطة فجاء : حزيران) .

(٣) اسم الهٰ الحصاد .

(٤) معناه في البابلية والسريانية والعبرية : شهر الزيت .

(٥) ورد في سفر الملوك الاول ٦ : ٣٨ « وفي السنة الحادية عشرة في شهر بُوْل الذي هو الشهر الثامن » (الشدياقية وفي اليسوعية : سفر الملوك الثالث ، أما السريانية فقالت : تشرين الثاني) .

(٦) ورد في سفر نحميا ١ : ١ « كان في شهر كِسْلُو » (المصادر عينها) وأما في السريانية : في شهر كانون . وذكر أيضاً في اللغة البابلية في أثر تاريخي كتب سنة ٥٣٧ ق . م . الآثار السامية لهنري بونيون ص ١١ س ٢٢ كما ذكر فيه أسماء الشهور : دوموز ، وأرَح شمنا وآذار ونيسّان . وذكر أيضاً ايلول Eloul وفي الرسم الآرامي الذي وجد في قرية ساري وحصن كيفا ص ٢١١ .

شهور البابليين		الشهور العبرية	
(كانون الثاني) طيبث [1]	Tebetu , Tebet	طيبيث	طيبث
(شباط) شباتو ، سباتو	Sabatu	شباط	شفط
(آذار) ، ادّار ، ادار	Adaru , Adar , Addar	آذار (٢)	اذار

شياف : هو عند برون سرياني ص ٦٦٤ .

شيح : توافقت فيه العبرية والعربية والسريانية (برون ٦٦٢) .

شيد : وبالعبرانية شيد وورد في معجمي اودو وبرون Saïdo بالفتح .

مج ٢٤ ص ١٧٠ س ١٨ شيرازة : قال المطرّزي في كتاب المُغرب في ترتيب المُعرب ج ١ : ٢٧٩ «مصحف مشرّز ، أجزاؤه مشدودة بعضها الى بعض من الشيرازة وليست بعربية» وقال الفيروزابادي ٢ : ١٧٨ « المشرّز كمعظَّم المشدود بعضه الى بعض المضموم طرفاه مشتق من الشيرازة أعجمية » وقال الشرتوني ١ : ٥٨٢ «مأخوذ من الشيرازة فان لم يضم طرفاه فهو مسرّس بسينين» ولم يذكر أصل الكلمة .

وهي بالسريانية Sirèce ومعناها : سدى ، شبكة ، درع ، حبل (الدليل ص ٤٩٢) ووقعت في كلام ابن العبري في مخزن الأسرار في تفسير الآية الواردة في سفر الخروج ٢٨ : ٣٢ قال « وليكن لها مثل فم الشيرازة لئلا ينشق اعني مثل الذي تُشدّ به الكراريس في تجليد الكتب » وذكرها أيضاً ابن بهلول .

(١) ورد اسم طوبث أو طيبت Tebit , Twith في كتاب « اسكوليون » تأليف ثاودورس ابن كوني الكسكري الكلداني الذي كان موجوداً في المئة السابعة الميلاد قال « أو في شهر طويث وهو كانون الثاني » مج ١ : ص ٣١٢ سطر ١٤ . وعليه قال بيان سميث في معجمه ١٨١ — ١٨٢ (طيبث شهر كانون الثاني وربما كانت هذه الكلمة مستعملة في بعض ديار سورية في عصر عريق في القدم) .

(٢) ذكر في سفر استير ٣ : ١٣ « في الثالث عشر من الشهر الثاني عشر الذي هو شهر آذار» وكذلك في الفصل ٨ ع ١٢ والفصل ٩ ع ١ (في جميع الترجمات ومنها السريانية) وأما الشدياقية فذكرت ادار ، بالدال المهملة .

أما برون فرأى ان أصلها يوناني Seïras ص ٣٨٩ . اذاً من اليونانية أخذتها السريانية ثم العربية .

مج ٢٤ ص ١٧٠ س ١٨ شَيطان : روح شرّير . قال العلامة الرهاوي ص ١٣ « شيطان Sotono لفظة عبرية الأصل معناها : مقاوم ، متمرّد » قلنا من العبرية اقتبستها السريانية فالعربية . ومنها اشتقوا فعل Sto : حاد ، ضلّ » او Stan : مكر ، خدع ، وثب ، هجم على (برون ٣٨٨) وفي سفر أيوب ١ : ٦ « فجاء الشيطان أيضاً بينهم » .

حرف الصاد

مج ٢٤ ص ١٧٤ س ١٤ صِنارة : قال الشرتوني ١ : ٦٦٤ الصِنارة بالكسر وتخفيف النون ، الحديدة الدقيقة المعقَّفة التي في رأس المغزل وقيل مغزل المرأة ، دخيل » وقال ابن فارس ٣ : ٣١٣ « الصاد والنون والراء ليس بأصل ولا فيه ما يعوّل عليه لقلة الراء مع النون مع انهم يقولون ... والصنارة : حديدة في المِغزل ، وليس بشيء » اهـ .

قلنا والحالة هذه بحسب هذين السندين هي سريانية النجار فقد ورد في الدليل ٦٤٣ وبرون ٥٤٩ Sénoro , Sénorto , Sonourto : صنارة ، شصّ يصاد به السمك .

حرف الطاء

ص ١٧٧ س ٤ طَبْل : قال الشرتوني ٦٩٧ : الطبل الذي يُضرب به يكون ذا وجه وذا وجهين . وقال ابن فارس ٣ : ٤٤٠ « والطاء والباء واللام ثلاث كلمات ليس لها طُلاوة كلام العرب وما أدري كيف هي . ومن ذلك الطبل الذي يُضرب به » اهـ .

قلنا ورد في السريانية Tablo والفعل Tabal : طَبَل ، نقر الطبل . ومنه

Tabolo : الطبّال . وهذا الاشتقاق نفسه وارد في العربية . أما أصل الكلمة فلم يذكره برون وأثبت دوفال سريانيته ٣ : ١١٦

ص ١٧٩ س ٦ طجن : قال ابن فارس ٣ : ٤٤٣ « يقولون في الطاء والجيم والنون، ان الطاجَن ، الطابَق وهو كلام والله أعلم » .

قلنا اللفظة عند برون يونانية الأصل (ص ١٨١)

ص ١٧٧ س ٤ طُرموس : خبز المَلّة ، جاء في المقاييس ٣:٤٥٩ «ومما وُضع وضعاً ولا يكاد يكون له قياس : الطُّرموس خبز الملة » .

قلنا ورد هذا أيضاً في السريانيـة بفتح الطاء Tarmouso خبز المَلة ، و Tarmousto (الدليل ٢٩٦ وبرون ١٩٧) وجاء في العربية طُرموس وطُـروس فاما كان اللفظ سريانياً واما من توافق اللغتين .

حرف العين

مج ٢٤ ص ٣٢٦ س ١٩ عقّار : قال مار افرام في نشيد له ١٢ : ٥ ما ترجمته : « مخلوطة بسائر العقاقير ، شفاء للآلام قاطبةً » .

مج ٢٤ ص ٣٣١ س ٣ عيد : واشتق منه السريان فعل Adède وليس هو عربي الاشتقاق كما زعم ابن الاعرابي لأنه يعود كل سنة بفرح مجدّد وان أصله عِوْد قُلبت الواو ياء لسكونها بعد كسرة (أقرب الموارد ٢ : ٨٤٥) وكما وهم الراعب الاصفهاني بقوله « والعيـد ما يعاود مرّة بعد أخرى » (المفردات ٢٥٨) .

حرف الفاء

مج ٢٤ ص ٣٣٥ س ٧ فخ : وفي المزمور ٦٩ : ١٢ « فلتكن مائدتهم مائدتهم قدّامهم فخّاً » .

مج ٢٤ ص ٣٣٥ س ١٥ فَدَّن : وقال مار افرام في ميمر المائدة ٥١ : ٨ «(وطوبى) لأبواب أفدانك التي فُتحت » ·

مج ٢٤ ص ٣٣٧ س ٣ فرزل : وقال مار افرام في الميمر الأول في المائدة ٣٣ : ٧ « والفرزل المتين أيضاً يضعف في النار » ·

حرف القاف

مج ٢٤ ص ٤٨٧ س١٥ قِرْصَعْنة :قال فيها الفاضل الأمير مصطفى الشهابي في معجمه ص ٣٥٥ « بقلة من فصيلة الخيميّات تنبتها الطبيعة في جبل الشيخ وأنحاء لبنان فيتبقّلونها » وكتب الينا ان مايرهوف ذكر في تعليقه على شرح أسماء العقّار لابن ميمون الأندلسي انها لفظة معربة من السريانية ·

قلنا أجل انها وردت في السريانية Qarsâano : قرصعنة ، قريص (دليل الراغبين ٧٠٨) وأوردها اللباب بالجمع Qarsâané ص ٤٤٠ ، وبرون ، باسكان الصاد وضم العين Qarsôno ص ٦١١ ·

مج ٢٤ ص ٤٨٩ س ٩ قَطريب : Qatribo · لفظ سرياني قال ابن بهلول ٣ : ١٧٦٧ « خشبة منصوبة في وسط الخشبة (المحراث) التي في أسفلها الكسر لتمنع السكة وخشبتها من الصعود والنزول ويقال لها القطريب » وقال القرداحي ٣ : ٤٠٧ « خشبة صغيرة مخنية توضع في خَرْق في طرف العود الداخل في حَلقة النير تمنعه الخروج من مكانه ، وأهل الفلاحة عرّبوه وقالوا القطريب » اه

وأورد دليل الراغبين مثل هذا التعريف ص ٦٧٤ · ولم نقف على هذه اللفظة في ماعندنا من المعاجم العربية ·

حرف الكاف

مج ٢٤ ص ٤٩٥ س ٧ كاثٌ : أوردنا اللفظ السرياني Kéto خطأً وصوابه Kotho بالرفع ·

مج ٢٤ ص ٤٩٨ س ١٥ كرخ : وقال مار افرام في بعض ميامره ١١٨ ـ ١ يا ابن متّى بمَ اجرم اليك كرخ نينوى فتوقعتَ موته ؟ »[1] .

مج ٢٥ ص ٥ س ٦ كمر : وقال القديس افرام ص ٩١ ـ ٢ « الشيخ رئيس الكُمرين (الأحبار) .

مج ٢٥ ص ٦ س ١٦ كوثل : « الكَوْثل كجوهر ذَنَب السفينة يقال : اقعد في كوثل السفينة . وقال الليث : الكوثل مؤخر السفينة وقد يشدّد فيقال كَوثلّ » (أقرب الموارد ٢ : ١٠٦٨) .

قال برون ص ٢٥٦ هي لفظة آثورية Kutallu وفي السريانية Kawtlo (الدليل ٣٥٩) فمن السريانية عرّبتها العربية .

حرف اللام

مج ٢٥ ص ٨ س ٧ لَبلاب : اللَبلاب : نبت يتعلق بالشجر ، سريانية Hbalblo (دليل الراغبين ٢١٦ وابن بهلول ع ٧١٢) وأورد فيه القرداحي ثلاث لغات Hbelblo و Hbalbolo و Hebelblo وقال فيه « نبات ورقه كورق اللوبياء يتعلق على الشجر ويُعرف بعاشق الشجر (١ : ٣٧٥) وذكر مايرهوف في ما كتب به الينا الأمير الشهابي انها معربة من السريانية بمعنى اللّبيّ . وقال فيها الأمير ص ٣٢٨ « Hedera لبلاب . عَشَقة :جنس نباتات معترشات من فصيلة اللبلابيات » .

مج ٢٥ ص ٨ س ٢١ لَقَن : قال مار افرام (١ : ١٠١) « وأذكرُ انهم غسلوا في لقن الماء » .

---

(١) كَروب : قال الرهاوي ص ١٠ « كروب لفظة عبرية مدلولها الحاذق في صناعته أرادوا بالملاك الكروب أو الكروبي والجمع كروبيم وكوارب : الجزيل العلم وبالتالي رسوخ الملائكة : الجليّ الباهر في الاستنارة » وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢٤ بحسب الترجمة السريانية « وأقام شرقي فردوس عدن الكواريب » .

مج ٢٥ ص ٩ س ٧ لَيسَ : قال ابن فارس ١ : ١٦٤ « أَيس : الهمزة والياء والسين ليس أصلاً يُقاس عليه ولم يأتِ فيه الا كلمتان ما أحسبها من كلام العرب ، وقد ذكرناهما لذكر الخليل اياهما . قال الخليل : آيَس كلمة قد أُميتت غير أن العرب تقول : ائتِ به من حيث أَيسَ وليس » لم يُستعمل أَيس الاّ في هذ فقط وانما معناها كمعنى (حيث) وهو في حال الكينونة والوُجد والجِدة . وقال انّ « ليس » معناها لا أَيْس أي لا وُجْدَ » اه .

قلنا هي بالسريانية Lait .

حرف الميم

مج ٢٥ ص ١١ س ٣ ماحوز : قال مار افرام ٥٨ ـ ٨ « اطلقوا ذلك الاسم على ماحوزهِ فسمي كرخ افرام » .

مج ٢٥ ص ١١ س ١٩ مَامُون : لفظة سريانية Momouno بمعنى : مال ، مقتنى . انفردت بها الترجمة السريانية الشدباقية للكتاب العزيز قال في انجيل مار متى ٦ : ٢٤ « لا تستطيعون انتم أن تخدموا الله ومامونا » أي المال . وفي انجيل مار لوقا ١٦ : ٩ « اجعلوا لكم أصدقاء من مامون الظلم » وفي عدد ١١ « فان كنتم غير امناء في مامون الظلام فمن يأتمنكم على الحقّ » وفي عدد ١٤ « فلا تستطيعون انتم ان تعبدوا الله ومامونا » وهي لفظة غريبة لم نقف عليها في موضع آخر .

يضاف الى لفظة :

مج ٢٥ ص ١٥ س ٣ مَسْك : وقال ابو حيان التوحيدي في المقابسات ص ١٧٨ روايةً عن الشيخ ابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني المنطقي « ولكن الانسان .. لا فكاك له من جميع ذلك مادام في مَسْكه الطبيعي » وفي ص ٣٤١ ولو كان كل من هو في مَسْكك ظهيراً لك ونظيراً معك » راجع أيضاً ص ٥٤ و ٦٣

مج ٢٥ ص ١٦ س ١٢ مسكين : المسكين من لا شيء له وقيل من له ما لا يكفيه ، وقيل من أسكنه الفقر أي قلل حركته أو اسكونه الى الناس . والمسكين أيضاً الذليل المقهور وان كان غنيًّا (أقرب الموارد ١ : ٥٢٩) وورد في كتاب دورم ص ٢٤٨ Sukennu ومعناها : وضع مذلل والرجل هو Muskennu وبالعربية : مسكين ، ذليل فقير في محضر الآلهة » وفي السريانية Mesqine و Mesquino : مسكين ، فقير معوز ، ضعيف . ومنه فعل Masqène ، افقر و Ethmasqane : أفلس التاجر ، قل ، ذل (دليل الراغبين ٤٩٢ — ٤٩٣) والفعل بالعربية : تسكّن وتمسكن ، صار مسكيناً . واستكان خضع وذلّ . وفي سفر الخروج ٢٣ : ٣ «ولا تحابِ مع المسكين في دعواه» فاللفظة آثورية النجار ومن الآثورية انتقلت الى السريانية فالعربية .

مج ٢٥ ص ١٨ س ٣ مكس : المَكْس ما يأخذه المكّاس تسميةً بالمصدر . والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائعي السِلَع في الأسواق في الجاهلية ، وقيل : درهم كان يأخذه المصدِّق بعد فراغه من الصدقة . وفي المصباح ، وقد غلب المكس في ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء (أقرب الموارد ٢ : ١٢٣٢) وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ٣٢٧ في فصل ما ترك الناس من الفاظ الجاهلية كقولهم لما يأخذه السلطان : المَكْس كما قال العبدي في الجارود:

أنا ابن المُعلَّى خِلتنا أم حسِبْتنا : صَراريَّ نُعطي الماكسين مكوسا

وذكر برون ص ٢٩٦ انه لفظة آثورية Miksu وتوافقها السريانية Makso والعربية (مكس) فمن احداها أخذته العربية .

مج ٢٥ ص ٢١ س ٨ موسيقار : الموسيقار صاحب فن الموسيقى والحاذق فيها . ومن المعلوم ان الموسيقى لفظة يونانية النجار Mousikie (برون ٢٨٧ والشرتوني ٢ : ١٢٥٢ وأما لفظة الموسيقار فلم ترد في المعاجم العربية ولكنها جرت على لسان بعض قدماء الكتّاب قال أبو سليمان المنطقي «فالموسيقار اذا صادف طبيعة

قابلة ... أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً» (كتاب المقابسات ص ١٦٤) وقال أيضاً «وهو حسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقار والمنطقي والكلامي» (فيه ص ٢٨٣) فهذه اللفظة تجدها في لساننا السرياني Mousikoro (الدليل ٣٨٩ وبرون) ومن السريانية استعارها العرب ويحسن المعاصرون لنا استعمالها.

مج ٢٥ ص ٢٢ س ٢٢ ميناء: قال مار افرام ٥٦ : ١ «طوبى لميناك الذي هشّ لملاقاة السفينة».

حرف النون

مج ٢٥ ص ١٦١ س ٧ ناجود: قال ابن السكّيت في تهذيب الألفاظ ص ٢٢٨ «والناجود الباطية قال مامه الأيادي أبو كعب:

ما كان من سوقةٍ أسقى على ظمأٍ : خمراً بماء اذا ناجودها بَرَدا»

وعلّق عليه الأب شيخو ناشر الكتاب قوله في ص ٧٦٤ «الناجود الباطية كلاهما معرَّب عن السريانية، فالناجود كل اناء يوضع فيه الخمر».

قلنا وفي المعاجم السريانية Nogoudo , Ngoudo : كأس، جام، قدح، صحن.

مج ٢٥ ص ١٦١ س ١٦ ناطل: قال ابن السكّيت في تهذيب الألفاظ ص ٢٢٧ «والناطِل المكيال الصغير الذي يريه فيه الخمّار شرابه وجمعه نياطل، قال أبو ذؤيب:

ولو أنّ عند ابن بُجْرة عندها : من الخمر لم تَبْلُل لَهاتي بناطِلِ»

وعلّق عليه الناشر ص ٧٢٤ بقوله «والناطل والنيطل والنأطل أصله من السريانية: Naïtlo وهو مكيال الخمر أو قدح صغير يذاق منه».

قلنا وفي الدليل ص ٤٤٤ Mantalto : كأس، قدح، مكيال، وزن و Natlo , Notlo : ناطل، وزن كيل قدره ١٢ مثقالاً» ومثله في معجم برون ص ٣٤٠.

حرف الهاء

مج ٢٥ ص ١٧٢ س ٢ هَيكل : وقال مار افرام ١٢٦ ـ ٢ « اقاموا هياكل للتوبة » .

حرف الياء

مج ٢٥ ص ١٧٦ س ١٣ يَتُوع ، يَتّوع : قال الشرتوني ١٤٩٥ ـ ١٤٩٦ اليتوع أو اليتّوع أو التيّوع كل نبت له ابن والمشهور منه سبعة : الشبرم واللاعية والعرطنيثا والماهودانة والمازربون والفَلَنْجلَشْت والعُشَر ، نقله المجد عن كتب الطبّ » وقال ابن بهلول ع ٨٥٤ « يتُوع هو أصناف سبعة » وقال الأمير الشهابي ص ٣٦٢ « فَرْبيون يَتُوع Euphrobe جنس نباتات من فصيلة الفربيونيات فيه أنواع عدة لا كبير شأن لها في الزراعة » وكتب الينا ان الملمين بالسريانية من علماء النبات ذكروا ان أصل اللفظة سرياني . قلنا جاء في دليل الراغبين ص ٣٢٠ Yatouô يتُوعو : يتُوع ، كل نبت له ابن » انظر أيضاً اللباب ٥٤٨ وبرون ٢١٩ وقد عدّها دوفال من الألفاظ السريانية ٣ : ١٢٢ .

*

هذا ما تيسّر لنا بعون الله سبحانه وضعه وتحقيقه في رسالتنا ، وفوق كل ذي علم عليم .

خاتمة

رأينا أن نختم تأليفنا هذا بكلمة جامعة في حالة المعاجم العربية ، عسى أن تقع من الحراص على لغة الضاد وحفظتها الفضلاء موقع قبول ، ويصيبون منها ذَرْواً من فائدة فنقول :

ان الباحث في اللغة العربية لا محالة واجد في المشتغلين بها : العالم المتحرّز والمجتهد المتعزّز الذي غلبت عليه اللغة فقطع الحِجج الطوال في كشف دقائقها والتقاط أوابدها ونثر فرائدها ، حاطباً في حبل التحقيق ما شاء ، وراكضاً في حَلْبَة العلم ما أراد بجهد جهيد ونقد سديد ، وقد أعانه الله الوهّاب بسليقة وقّادة ، وعضدَه من صحة عزمه جَلَد واجتهاد ، تُسعفه المعيّة صافية بتمييز وذوق وسداد ، يأنس الى الحقيقة لحصافة عقله ، والحقّ أنس كل عقل . فيقع حكمه من الصواب على اللباب أو قريباً منه . وشِرعَتُه الرِفق الذي كل من لابسَهُ وصل به الى ما طلب منه .

واذا كان غزيراً علمه عمولاً فكره أصيلاً رأيه ، يستريح من النظر الى التحقيق ، ومن التحقيق الى التعليق ، لا يجد اذا غُمَّ عليه وجه الصواب ، غضاضة في التوقف عن القطع والجزم ، قائلاً في ما لا يتثبت فيه لا أدري ، يدلّ بهذا على تحرّيه وتبحّره ، وهو شأن الأئمة الجهابذة المحققين ، وهؤلاء قليل ما هم .

ويدرك الذي استهوته اللغة فطاب له أن يكدّس بين يديه المعاجم ، يتناولها بين تقليب أو تصفّح ، دون الامعان في التحرّي ، يؤثر التقليد على الاجتهاد وهو أبداً بحبال غيره يحطِب ، وبكلام من سبق يخطُب ، وبجناح من مضى يطير وان لم يحلّق ، وعلى أثرهم يسير وان لم يصب الهدف المقصود . ومن هنا وهناك يقمش ما ليس يعرضه على معيار نقد صحيح . غير ضارب في التحقيق بسهم ، وغير وارد شرائع مطلوبه بعلم ، يتسارع الى القدح والتزييف ، ويتكلف

التعسُّف والتحريف، فلا غرو ان يطيح ويأتي بما لا يشفي الصدور، وهذا سبيل المسفّين، وكثير ما هم .

ويصيب أيضاً من يتغلب حبه لنصاعة اللغة واستقلالها عن كل صلة دخيلة، على حب الحقيقة، فتدفعه العصبية البغيضة، موروثةً كانت او مصطنعة، الى انكار كل لفظة غريبة مهما اتضحت عجمتها فاذا به وقد طوّحت به الحيرة في بيدائها، يميل الى البَهْت ويشرد على الحق . ويذهب مع العَنَت، آوياً الى سَرَب من التمحُّل غير آمن، متعلقاً بحبل من التعمّل واهٍ، متسربلاً من التكلُّف ثوباً مهلهلاً، محاولةً لإثبات مزاعمه ودفعاً لحقٍّ بيد الهوى وان خرج منه مضعوفاً، فضلاً عن خلعه على غير واحد من قدماء أئمة اللغة جلباب عصمة، وهو غشاء ما غشي يوماً جسم بشر مهما تقادم عهده، وعلا في الميدان جدّه . واسمع ما قاله الفاضل ابن سِيْده في مقدمته في المحكم: «واذا كان المتفردون لكناية اللغة وتكميشها واحتطابها وتقحيشها، كأبي عبيدة والأصمعي قد غلطوا في بعض مادوّنوا، فأنا أحرى بذلك»! ولو كان أمثال هذا أصابوا من علم أصول اللغات حظّاً، أو ضربوا في فنّ النقد النزيه بسهم، أو جالوا في بعض اللغات الساميّة اخوات العربية بقِدح، لكفوا أنفسهم مؤنة هذا العناء . وهم لو اقتصدوا واعتدلوا لكانوا بلغتهم أبرّ ولها أنفع والى إعلاء شأنها أسرع .

ويصادف بعد ذلك من هذه الطبقة من حظي برَشْنٍ من فوائد لغوية فنفخته الدعوى وحدّثته نفسه بالإثرة . فيعمد الى دواوين اللغة، وهي ما قد علمت كثرة وضخامة وغزارة مادّة، ينظر اليها بزاوية عينه، فيطلع علينا ساخطاً ناقداً ينعي على أصحابها نقلة اللغة وخزنتها ـ جزى الله علومهم خيراً ـ اغفالها وضعف ترتيبها مهجّناً هذا ومخطّئاً ذاك غير هيّاب، وكان أمره فُرُطاً . واذا سألته: وأنت أين معجمك البارع الذي أحكمت وضعه، وديوانك اللغوي الذي أجدت تصنيفه وتنوقت في نسجه من جميع حواشيه، وتوفرت على محاسنه من جميع علائقه

وغواشيه ، لنعارضه بما تقدم ونرى ما فرع به أمثاله غزارةً وتبويباً وترتيباً ، وتسهيلاً وتحريراً وتصويباً ، لاذ اما يكشف الوجوم ، واما بما لا يبرّد غليلاً ، أو عاذ بوعد ينقضي العمر دون انجازه ، ويهرم زمانه قبل حوزه ، او جاء من التعقيد بفصول هي الى الأحاجي أقرب منها الى جوهر اللغة ولبابها . أو أشار برأي فطير محاولاً صدع صَرح شاهق راسخ الأركان ثابت البنيان . وربما لا يقوى على رفع مدماك منه . وان هو الا واقع في أكمةٍ عَنُوت .

والاشتغال بالعربية ليس من الهنات الهيّنات ، وكدّ الطبع في لغاتها لا يستتبّ الا لذي دراية صائبة وعزيمة راتبة كما قال الثعالبي اللوذعي في مقدمة « فقه اللغة » بل ان ركوب بحرها الزاخر والغوص في دَرْكه لا يقدم عليهما الا مهرة الربابين وحذّاق الغاصة . ولا ينتصب لانتقاد ما وصل الينا من دواوينها الا الاثبات الثقات من جهابذة اللسان وصيارفة الكلام .

واذا كانت المجامع اللغوية التي عُنيت في عصرنا هذا باعادة النظر في معاجم اللغة ، تجديداً لما عفا من رسوم طرائقها واستدراكاً لشوائبها واستتماماً لمناقصها ، لا تزال على اتساع حديقتها وأناقة روضتها وعناية ذوي الأقدار الخطيرة بها ، في أوّل مرحلتها ، لحريّ بالفرد ان يعترف بتقصيره في حمل عبئها وحده . تفادياً من قصور سهمه ، وخليق به أن يهوّن على نفسه معتدلاً في حكمه . فينزل من صَرْح إثرته الى صَرْحة امثاله ، مسايراً ركابهم مصاحبةً ومراسلةً ومساجلة ، ولعله يجد بركة حسن الرأي في صِلة جنابهم ، مستريحاً من شدة النقد الى المشاركة في ما نصب نفسه له ، والأخذ في ما وفّق فيه من الأبواب اللغوية التي تعين على تأليف المعجم العصري الكامل ، محطّ رحال أهل اللغة وقبلة آمالهم ، واذا كان من رجال التبحّر فلا يخلو أن يزهر له من المشورة سراج التبصّر ، فان لم يبرز الا لنقد وجدل كأنه حجة اللغة الكبرى ، لم ينصف اللغة ولا نفسه .

ورحم الله امرءًا جعل العلم البحث هاديه والتحقيق رائده والانصاف قائده ، وجاء من لباب اللغة بالشذور المنتخبة والفوائد اللطيفة ، مدليًا في باب الاشتقاق بحجج نواصع ما استطاع اليه سبيلاً ، وفي تاريخ استعمال الألفاظ بأدلة لوامع ، ما أسعفه في مطلبه سند ثابت . وخلع على معاجمها حلة من الحقائق فاخرة ، وأزاح باستدراكه الصحيح عن محياها الصبيح ما علق به من غضن الأيام . وأضاف الى قلادتها لآلئ نفيسة ، يحسن اختيارها ويتأنق في نظمها في سلكها . مما لم ينتبه الصدور الأوائل الى جمع شمله ، أو مما تقتضيه حاج هذا العصر من الفاظ مستحدثة . لتبقى على مرّ العصور زاهية محاسنها عميمة فوائدها ، مقدّمًا لجدّ الجهد وبذل المطاق عمله قبل قوله . وحَسْبُهُ ان صوابه موكّل به وناصر له ، وانه واجد في صدره برد الحق .

وما أحوج اللغة الى مثله وأشوقها الى جنى فضله ، وأنعم بالها في القعود تحت ظلّه والسلام .

* * *

اضافة وتصحيح أصول بعض الألفاظ

مج	ص	س						
٢٣	١٧٤	٤	إران	Orouno	عبرية		(معجم برون ص ٢٨)	
«	١٨٠	١	أُشول	Achlo	وعبرية		«	٣١
«	١٨٢	٥	الآنك	Onco	وعبرية		«	٢١
«	٣٢٧	٦	بسأبه	Bço	سريانية وعبرية		«	٤٨
«	٣٣١	١٦	تبزّه	Tbar	«	«	«	٧٠٢
«	٣٣٢	١٠	ترجم	Targhème	«	«	«	٧٢٠
«	٣٣٨	٥	تنين	Tanino	«	«	«	٧١٦
«	٣٣٩	٢	ثبْ	Thèbe	«	«	«	٢١٨

مج	ص	س			
٢٣	٤٩٦	١٠	دقل	Deglo	قلنا ان برون لا يذكر عبريتها
〃	٥٠٠	١٢	مذبح	Madhbho	توافقت فيها العبرية والسريانية والعربية
〃	٥٠٤	١٠	رِجز	Rghèze	وتوافقها العبرية (برون ٦٢٢ - ٦٢٣)
〃	٥٠٥	٢١	رقان	Raqno	وقال برون Rikno يونانية
٢٤	٥	١٠	زغلول	Zoughlo	وهي عبرية أيضاً (برون ١٢٠) وضبطها بفتح الغين
〃	٦	١٢	مزمور	Mazmouro	وهي عبرية أَيضاً (برون ١٢٩)
〃	٧	٩	زوفى	Zoufo	عبرية (برون ١٢٥)
〃	٧	١٥	سابا	Sobo	وعبراني (برون ٣٦٧)
〃	٧	٢١	زفيزف	Zouzfo	يونانية (برون١٢٣ وباللاتينية Zizyphus)
〃	٩	٥	سبّح	Shabah	عبرية (برون ٦٢٥)
〃	١٠	٢	سبط	Shabto	عبرية (〃 ٦٥٣)
〃	١٠	٣	سجد	Sghéde	وعبرية (〃 ٣٧٣)
〃	١١	٣	سربال	Sharbolo	فارسية (〃 ٦٩٣)
〃	١١	١٠	سريس	Sriço	وتوافقها العبرية (〃 ٤١١)
〃	١٣	٥	سِفْر	Sefro	قال برون ص ٤٠٤ هي بالاثورية Sipru وبالعبرية سفر
〃	١٤	٣	سفسير	Safsiro	هي عند برون فارسية ٤٠٣
〃	١٤	١٧	سِفل	Shaflo	وتوافقها العبرية (برون ٦٨٥)
〃	١٥	٥	سكّر	Sacar	وتوافقها العبرية (〃 ٣٩٢)
〃	١٧	١٢	سلوى	Salway	عبرية (〃 ٣٩٢)
〃	١٩	١	سامور	Shomiro	وتوافقها العبرية (〃 ٦٨٠)
〃	١٩	٥	سَندان	Sadono	ويوافقها برون ٣٧٥
〃	٢٠	٢١	سوط	Shabto	سريانية وعبرية (〃 ٦٦٣)

مج	ص	س			
٢٤	٢١	٦	سيامة وفعل	Some	هو بالعبرية أيضاً (برون ٣٨٠)
«	١٦١	١٣	شنأ	Sno	وكذلك بالعبرية (« ٣٩٧)
«	١٦٣	٣	شتَل	Shtal	وكذلك بالعبرية (« ٦٩٨)
«	١٦٣	٢٠	شِرش	Shersho	وكذلك بالعبرية (« ٦٩٧)
«	١٦٤	٦	شرعوف	Sarêfto	وكذلك بالعبرية (« ٤ ٤)
«	١٦٤	١٤	شطح	Shtah	وعبرية (« ٦٧٠)
«	١٧١	٥	صام	Som	وعبرية (« ٥٣٩)
«	١٧١	١٠	صحناء	Sahnitho	ورواها برون Sehnitho ٥٤٢
«	١٧١	١١	صَدَقة	Zédktho	وتجد أصل الفعل أيضاً عبرياً ١٢١
«	١٧٢	٥	صراحية	Slouhitho	ووردت في العبرية أيضاً ٥٤٤
«	١٧٢	٢٢	وجليبا بالجين (الجيم الفارسية) هي فارسية (برون ٥٤٤)		
«	٣٢٨	١٩	وسهونا عن ذكر مصدر بيتي أبي نؤاس عن نسخة باريس في الديارات وهو كتاب الديارات النصرانية في الاسلام للأديب حبيب زيّات ص ١١		
«	٤٨٦	١٦–١٨	ان السطور الثلاثة ١٦ – ١٨ واولها « وفي اللغة الاكّدية Uqaddah (وصوابها Uqada s̄) و Qaddasa (وطُبعت Qaddash غلطاً) حتى قديس ، قدوس : مصدرها كتاب « المعجمية العربية » للأب ا . مرمرجي ص ٢١٠ – ٢١١ وكان اغفال ذكر المصدر سهواً.		

* * *

تصحيح اسم ابن سِيْده

وكنا كتبناه (ابن سيدة) بالتاء الصغيرة المثناة ، وصوابه بكسر السين واسكان الياء ودال وهاء وذلك في المواضع الآتية :

مج	ص	س
٢٣	١٧٦	٥
«	١٧٧	١
«	١٨٠	١٤
«	٣٢٤	٣
«	٣٢٥	١٥
٢٣	٣٢٨	٢٢
«	٣٣٠	١٤
«	٣٣١	٦
«	٣٣٧	١٥

* * *

تصحيح أغلاط الطبع

مج	ص	س	خطأ	صواب
٢٣	٣٢٩	١٦	البُلُخ	البُلْخ
«	٣٣٦	٢٣	دكره	ذِكرَه
«	٣٣٨	١٦	ستأبى	ستأتي
«	٣٤١	٣	الملاك	الملك
«	٣٤٢	١٦	سرنانية	سريانية
«	٤٨١	١٧	السر ومكان الاذخر	السرُو مكان الاذخر
«	٤٨٢	٢	النومع	التومع
«	٤٨٢	٣	صقر	صعتر
«	٤٨٢	٢٣	معرّب خنب	معرّب خُبّ
«	٤٨٣	١٦	عبريّة الاصل	عبريّة الاصل (برون ١٣٩)
«	٤٩٣	١ ـ ٤	مدارس	مدراس
			وقع هذا الخطأ من الطابع اربع مرات وتصحيحه : مدراس بوضع الالف بعد الراء	
«	٤٩٣	٧	ادخالها في المعاجم	ادخالها المعاجم
«	٥٠٠	٢	مدبح	مذبح
«	٥٠٣	٢١	شيّح	شجّ

مج	ص	س	خطأ	صواب
٢٣	٥٠٥	٢	الصفاني	الصغاني (بالغين لا بالفاء)
٢٤	١٦٤	١٠	الصفاني	الصغاني (بالغين لا بالفاء)
٢٤	٨	٢١	shabtho	Shabtho (برون ٦٥٥)
٢٤	١٢	٦	ساعور : الاسقف	ساعور الاسقف
٢٤	٢١	٩	بالسريانية والعربية	بالسريانية والعبرية (برون ٣٩٨)
٢٤	١٦٨	١٤	وخراسان	وخراسان
٢٤	١٦٩	١٠	وشعط	وشفط
٢٤	١٧٦	٦	فلنا	قلنا
٢٤	١٧٦	١٧	(طيوثا)	طعيوثا
٢٤	١٧٦	٢٥	بقولة	بقوله
٢٤	١٧٧	١	وليس	وليست
٢٤	١٨٠	١٢	بُرَطلة والبرَطلة	بَرْطُلّة بفتح الباء واسكان الراء لا فتحها ولا ضمها
٢٤	٣٢٧	٢٣	الطابق الثاني	الطبقة الثانية
٢٤	٣٣٢	١٠	فتختلنون	فتختتنون
٢٤	٣٣٢	١٨	التعرفات	التعريفات
٢٤	٣٣٣	١٤	كله	كلة
٢٤	٣٣٥	١٧	معزّب	معرّب
٢٤	٣٣٩	٢٤	بلفظة	بلفظه
٢٤	٣٤٠	١	ولاذنا	ولاذناً
٢٤	٤٨١	١١	افتقدَت اي طُلبت	افتُقِدتَ اي طُلِبتَ
٢٤	٤٩٢	٥	القنابري	القنّابري
٢٤	٤٩٢	٦	نبطية وفارسيتَه	نبطيهُ وفارسيّتُه
٢٤	٤٩٢	١١	البوارى	البواري

مج	ص	س	خطأ	صواب
٢٤	٤٩٤	١٤	لا اعرفة	لا اعرفهُ
٢٤	٤٩٥	١٤	بسرنانيته	بسريانيته
٢٥	٧	١٨	اغراض	اعراض
٢٥	٨	١٢	لَفِت	لِفت
٢٥	١٧	١٨	معني	معنى
٢٥	١٧	٢٠	سرشويه	سروشويه
٢٥	١٧	٢٤	العتبق	العتيق
٢٥	١٧٠	٢٠	رُجٌ	زُجّ
٢٥	١٧٨	٣	آداب الكاتب	ادب الكاتب

مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٤ —

ويجوز في المنعوت وشبهه الوجهان [١]، المضارعة بالمضاف [٢] في الاستطالة [٣]، ومثله النعت المحذوف المنعوت [٤]، ويجوز رفع المنادى المضاف، الجائز دخول

---

(١) أي الرفع على لفظه والنصبُ على محله، نحو يا زيد العاقل .

(٢) يَعْنون بالمضارع للمضاف اسمًا يجيء بعده شيء من تمامه إما معمول للأول نحو : يا طالعًا جبلاً ويا حسنًا وجهه ويا خيراً من زيد، وإما معطوف عليه عطف النسق على أن يكون المعطوف مع المعطوف عليه اسمًا لشيء واحد نحو : يا ثلاثة وثلاثين، لأن المجموع اسم لعدد معين كأربعة وخمسة، فهو كخمسة عشر إلا أنه لم يركب لفظه، وإما نعت هو جملة أو ظرف نحو قولك : يا حليما لا يعجل، ويا جواداً لا يبخل . (٣) إطالة الصوت مع نعته المذكور أو المقدّر، كالمضاف والمضارع للمضاف الذي بيناه قبل هذا .

(٤) قال الرضي : (١ — ١٢٣) : وصرح الكسائي والفرّاء، بتجويز نحو : يا رجلاً راكبًا لمعين، لجعله من قبيل المضارع للمضاف، حتى انهما أجازا يا راكبًا لمعين على حذف الموصوف، وفي كلام سيبويه أيضًا ما يشعر بجوازه، فالفراء والكسائي لا يجيزان النكرة مفردة، بل يوجبان الصفة نحو : يا رجلاً ظريفًا . ونحو قوله :

فيا راكبًا إما عرضتَ فبلغَنْ ندامايَ من نجران أن لا تلاقيا —

اللام عليه عند ثعلب[١]، ولا يجوز دخول (يا) على المنادَى المعرَّف باللام، سوى (الله)[٢] خلافاً للبعض[٣]، إلاَّ بتوسُّطِ (أيها) أو (هـذا)

—— إنما جاز عندهما، إما لكون «راكباً» وصفاً لموصوف مقدَّر، أي يارجلاً راكباً، أو لكونه معرفة. ولا يرى البصريون بأساً بكون المنادى نكرة غير موصوفة، لا في اللفظ ولا في التقدير، اذ لا مانع من ذلك اه باختصار.
ونجران (بفتح النون وسكون الجيم)، قال ابو عبيد البكري في معجم ما استعجم «مدينة بالحجاز من شِق اليمن، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرُب، وهو أول من نزلها، وأطيب البلاد نجران من الحجاز، وصنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والرَّي من خراسان».

وهذا البيت من شواهد سيبويه، وهو من قصيدة عدتها عشرون بيتاً، لعبديغوث الحارثي اليمني (المتوفى في نحو ٤٠ ق ٠ هـ) أوردها البغدادي في خزانته وشرحها (ج ٢ – ١٦٨) ومطلعها: «ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا»

(١) وقال الرضي أيضاً. وأجاز ثعلب ضم المنادى المضاف والمضارع له إذا جاز دخول اللام عليهما نحو: يا ناصر الرجل، ويا ناصراً رجلاً.

(٢) أي لا ينادى ما فيه الألف واللام، إلا الله وحده لأنها لا تفارقانه، كما لا تفارقان النجم (المفصَّل).

(٣) أي لبعض الكوفيين الذي يجوز دخول (يا) على ذي اللام مطلقاً في السعة نحو يا الرجل ويا الغلام واحتجوا بقول الشاعر:

فيا الغلامان اللذان فرَّا ... ايا كما أن تكسبانا شرا

ورُوي: «ايا كما أن تعقبانا شرا» وهذا البيت شائع في كتب النحو، ولم يعرف له قائل ولا ضميمة، والشاهد منه ظاهر. وقول الآخر:

من اجلك يالتي تيمت قلبي ... وأنت بخيلة بالوصل عني

وروي بالودّ، وهذا البيت من شواهد سيبويه (١ – ٣١٠) ولم ينسبه ولا نسبه الأعلم الشنتمري في شرح شواهده، وقال البغدادي في الخزانة: وهذا من الأبيات الخمسين التي لم يعرف لها قائل ولا ضميمة (٢ – ٢٥٥). ——

أو (أيهذا)[١] .

— هذا ولم يتعرض المؤلف لحروف النداء ، ولا لجواز الحذف في مثل الآية الكريمة : « يوسف أعرض عن هذا » وقالوا يلزم (أي حرف النداء ولا يجوز حذفه) في سبعة مواضع : المندوب والمستغاث والمتعجب منه ، والمنادى البعيد والمضمر ولفظ الجلالة ، واسم الجنس غير المعين ، وأما اسم الاشارة واسم الجنس المعين ، فكلاهما عند الكوفيين مقيس مطرد ، واحتجوا بقوله :

إذ أهملت عيني لها قال صاحبي بمثلك هذا لوعة وغرام

وهو لذي الرمة (١١٧ هـ) و « هذا » منادى على حذف حرف النداء ، وفيه الشاهد . والمعنى أن صاحبه ينكر على مثله الوجد والهيام بالمحبوبة وقوله : « أطرق كرا ، إن النعام في القرى » مثل لمن يتكلم وبحضرته من هو أولى منه بذلك ، كأن أصله خطاب للكروان بالإطراق لوجود النعام ، والمشهور ان الكروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حسن ، وهو أكبر من الحمامة . وأورد هذا المثل في الخزانة بيتاً من الرجز ، وهو :

أطرق كرا ، أطرق كرا إن النعام في القرى

على أن (الكرا) ذكر الكروان ، وليس مرخما منه ، وقال : وقد اختلف في قدره ، وفي معنى الكرى والكروان وفي معنى البيت ، وأورد أقوال أئمة اللغة والأدب في ذلك كله (ج ٢ : ٣٢٧ — ٣٣٠) . و « افتد مخنوق » (مثل يضرب لكل مضطر وقع في شدة ، وهو يبخل بافتداء نفسه بماله) و « أصبح ليل » (مثل يضرب عند إظهار الكراهة من الشيء ، أي ائت بالصبح يا ليل) .

والشاهد في الأمثلة جواز حذف حرف النداء ، مع أن المنادى اسم اشارة في الأول ، واسم جنس في الباقي ، وبذلك ومثله احتج الكوفيون .

(١) لما قصدوا الفصل بين حرف النداء واللام بشيء طلبوا اسماً مبهماً غير دال على ماهية معينة ، محتاجاً بالوضع في الدلالة عليها الى شيء آخر ، يقع النداء في الظاهر على هذا الاسم المبهم ، لشدة احتياجه الى مخصصه الذي هو ذو اللام ، وذلك أن من ضرورة المنادى أن يكون متميز الماهية ، وان لم يكن معلوم الذات .

وقد يحذف المنادَى [1]، ويجوز دخول أيها وأيتها على نحو «الحرث» عند الفرّاء خلافاً للجمهور. وتابع المرفوع [2] يرفع وينصب عند الفرّاء، ولم يجوز الرفع في التوكيد المعنوي غيره.

ويدخل المنادَى لام الاستغاثة [3]، وهي بقية من (آل [4]) كما أنَّ الميم من (اللهم) بقية من (أمَّنا) [5]. وهو والمندوب كالمنادَى [6]، إلاَّ أنْ

(١) في التنزيل: يا ليتني كنت معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً» أي يا قوم، ولذي الرُّمة غيلان بن عقبة العدوي (١١٧ هـ):

ألا يا اسلمي يا دار ميٍّ على البِلا ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

أي يا دار ميَّ، والجرعاء: الرملة الطيبة، وأراد منزلها الذي تنزل فيه حيث هذه الرملة. (٢) اي (من التأكيد والصفة وعطف البيان والمعطوف بحرف الممتنع دخول يا عليه،) ترفع على لفظه، وتنصب على محله. نحو يا تميم أجمعون وأجمعين ويا زيدُ العاقلُ والعاقلَ ويا غلام بِشْرٌ وبِشْراً، ويا عمرو والحرث بالوجهين إلاّ البدل فان حكمه حكم المنادى بعينه.

(٣) الاستغاثة: نداء من يعين على دفع بلاء أو شدة نحو: « يا لَلأقوياء الضعفاء!!» (٤) أي فهي اسم مضاف الى ما بعده عندهم، فحذفت الهمزة للتخفيف، وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين. (٥) قال الفرّاء: أصله يا الله أمّنا بالخير، فخُفف بحذف الهمزة وقد تقدم هذا البحث في أول الرسالة.

(٦) النُّدبة: هي نداء المتفجع عليه، أو المتوجع منه، نحو: واسيداه، واكبداه، وانما كان المستغاث والمندوب كالمنادى لأنهما في الأصل منادى لحقه معنى الاستغاثة والندبة، ولا تندب النكرة ولا المبهم عند البصريين، لأن القصد من الندبة الإعلام بعظمة المندوب، فيجب أن يكون معروفاً وأما الكوفيون فقالوا بجواز ندبة النكرة والأسماء الموصولة، وعللوا ذلك بأن —

المندوب قد يلحقه ألف الندبة [1] ، او ياؤه ، او واوه [2] ، واذا كان آخرُ

— الاسم النكرة يقرب من المعرفة بالاشارة ، والدليل على صحة هذا التعليل ما حكي عنهم من قولهم « وا مَن حفر بئر زمزماه » والأسماء الموصولة معارف بصلاتها ، كما أن أسماء الأعلام معارف » .

(١) وجوز الكوفيون الاستغناء بالفتحة عن ألف الندبة نحو يازيدَ ووازيد

(٢) قال الرضي في شرحه : آخر الكلمة لا يخلو من أن يكون ساكناً أو متحركاً ، والمتحرك إما أن تكون حركته إعرابية أو لا ، والمُعرب بالحركات لا يلحقه إلا الألف ، ويقدر الإعراب نحو : واضربَ الرجلاه في المسمى بضرب الرجل ، وكذا واضرَبت الرجلاه ، وواغلام الرجلاه ، قال : والفرّاء يجوز اتباع المدة للحركات (قياساً على مَدَّة الانكار) نحو واضرَب الرجلوه وواعبدَ الملكيه ، ومحافظةً على الحركات الإعرابية ما أمكن اهـ وكتب في هامش الشرح : مَدَّة الإنكار ، تتبع حركة الآخر فيقال في هذا عُمَرُ : أعمروه ؟ ! وفي رأيت عثمان : أعثماناه ؟ ! وفي مررت بخدام : اخداميه ؟ وان كان الآخر ساكناً حُرّك بالكسر وتبعته المدة كقولك في جاءني زيدُ (نْ) : أزيدَنيه ؟ ! ومعناها : انكار أن الأمر على ما زعم المخاطب ، أو إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما زعمه (١ — ١٤٢) .

ثم إن المؤلف رحمه الله لم يتعرّض لبحث الترخيم الجائز عند الكوفيين في المنادى مطلقاً كترخيم المضاف بحذف آخر المضاف اليه ، نحو « يا آل عام » في « يا آل عامر » و « يا آل مالِ » في « يا آل مالك » وكترخيم الاسم الثلاثي نحو « يا عنُ » و « يا حجَ » و « يا كتِ » في عُنُق ، وحَجَر ، وكتف ، وكترخيم الرباعيّ الذي ثالثه ساكن بحذفه وحذف الحرف الذي بعده نحو قولك في قِمَطرِ « ياقِمَ » وأما البصريون فشروط الترخيم عندهم أن يكون الاسم منادى ، مفرداً ، معرفة ، زائداً على ثلاثة أحرف ، وتراجع هذه المسائل بشواهدها وفروعها في « الإنصاف » للأنباري تحت أرقامها (٤٨و٤٩و٥٠ـ مسألة)

اللفظ ألفاً ، جاز قلبه ياء مع الحذف أيضاً ، والمنون يجوز ابقاء تنوينه وفتحه أو كسره ، وجوّز الفرّاء الكسر مع الحذف أيضاً ، تقول : وازيداه ، وازيدناه ، ووازيدنيه ، ووازيديه ، وواقام الرجلاه ، وواقام الرجلوه ، وواعبد الملكاه ، وواعبد الملكيه ، ووامومساه ، ووامومسياه ، ووازيدانيه ، ووازيدوناه ، ووامن حفر بئر زمزماه ، ولا يجوز إثبات هذا الواو الا في الوقف خلافاً للفراء ، مستدلاً بقوله

ألا يا عمرو عمرَواه وعمرو بن الزبيراه

المستثنى [1] — إما أن يتفرغ له العامل ، بأن يقع فاعلاً أو مفعولاً ، وغير ذلك ، نحو : ما جاءني إلاّ زيد ، فهو يعرب بحسب العوامل [2] ، وإما أن

(١) هو اسم يذكر بعد إلاّ ، أو إحدى أخواتها ، مخالفاً في الحكم لما قبلها نفياً واثباتاً . وعرّفه في « التسهيل » بقوله : هو المُخرَج تحقيقاً أو تقديراً ، من مذكور أو متروك ، بالا أو ما في معناها ، فالمُخرَج : جنس يشمل ما يخرج بالاستثناء وبالبدل وبالصفة وغيرها ، وقوله : تحقيقاً أو تقديراً ، اشارة الى قسمي المتصل والمنقطع ، ومن مذكور أو متروك ، للتام ، والمفرَّغ ، وبالاّ أو ما في معناها ، يخرج ما عدا المستثنى مما تقدم .

(٢) هذا الذي يسميه النحاة الاستثناء المفرّغ ، والمفرَّغ في الحقيقة هو الفعل قبلَ « إلاّ » لأنه لم يشتغل بمستثنى منه ، فعمل في المستثنى ، ويعرب بحسب العوامل إذا كان المستثنى منه غير مذكور ، وهو في غير المُوجَب ، كما ترى ذلك واضحاً في كلام المؤلف ومثاله . وفي الرضي : ويجوز التفريغ في موجب مؤول بالنفي كما في قوله تعالى : « فأَبَى أكثر الناس إلاّ كفورا » حُمل « أَبَى » على لا يريد لأنها بمعنى ، وهو النفي) فإذا تقرّر هذا ، قلنا إنّ المستثنى منه لمّا حذف لقيام القرينة ، ـ والمنسوب إليه كان هو المستثنى منه مع المستثنى وآلة الاستثناء ، وكان المستثنى منه ـ كما تقدم ـ أولى بأن يعرب بما يقتضيه —

لا يتفرغ له ، فهو إما أن يكون في كلام موجب فينصب[1] ، وإما في كلام منفيّ ، فإما أن يكون مقدّماً على المستثنى منه فينصب أيضاً[2] ، وإما أن يكون مؤخراً فينصب أيضاً إذا كان منقطعاً ، وهو أن لا يدخل في المتعدد[3] ، ويذكر بعد إلاّ في الحجاز[4] ، وإلاّ فيجوز جعل (إلاّ)

— العامل لكونه جزءاً أول ، ـ صار المستثنى متعيناً لقبول ما اقتضاه العامل من الاعراب ، اذ لم يبق من أجزاء المنسوب اليه القابلة للإعراب غيره ·

والفرّاء يجيز النصب على الاستثناء في المفرّغ نظراً الى المقدّر واستدلالاً بقوله:

يطالبني عمي ثمانين ناقة وما لي يا عفراء إلا ثمانيا

فان المستثنى منه محذوف تقديره : ومالي نوق إلا ثمانيا ، وردّه الرضي في شرحه على الكافية (٢١٧ ج ١) والبيت لعروة بن حزام العذري (٣٠ هـ) من قصيدة طويلة في ابنة عمه عفراء بنت مالك (انظر عروة بن حزام ٣ – ١٩٤) و (٣٤٣ من خزانة الأدب) ·

(١) نحو « فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم » فقليلاً منصوب على الاستثناء ، لأن الكلام موجب ، والمستثنى منه مذكور ، وهو الواو في « شربوا » والكلام الموجب هو الذي لم يتقدمه نفي أو شبهه وهو النهي والاستفهام ·

(٢) نحو « ما جاء الا خالداً أحد » ·

(٣) قال الكوفيون : « إلاّ » بمعنى سوى ، وانتصاب المستثنى بعدها كانتصابه في المتصل ، نحو : « ما جاء المسافرون إلاّ سيارتهم » وفي التنزيل « ما لهم به من علم إلا اتباعَ الظن » « وما لأحد عنده من نعمة تُجزى إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى » فاتباع الظن غير العلم ، وابتغاء وجه الله غير النعمة ، فأحدهما في كلتا الآيتين ليس من جنس الآخر ، لذلك كان الاستثناء منقطعاً ·

(٤) في الأوضح لابن هشام وشرحه : « فالحجازيون يوجبون النصب ، لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه فيمتنع البدل وعليه قراءة السبعة « مالهم به من علم إلاّ اتباعَ الظن » وقد سبق ذكر الآية ·

عاطفة [١]، ولنصبه خلافاً للفرّاء إذا كان المتعدد نكرة نحو ما جاءني أحد إلا زيد .

وان لم يعلم دخوله وعدمه تعذر الاستثناء فيجعل صفة كغير نحو « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » [٢] .

ويجوز تقدم المستثنى على المستثنى منه وعامله نحو : « إلا زيداً ما جاءني أحد » [٣] واختلف في عامله [٤] . ثم للاستثناء أدوات أُخَرُ : غيرُ ، يخفض بها ، ومثله سُوى وسَواء وسِوى [٥] ، ولم يكن

(١) أي عطفَ نَسَقٍ عند الكوفيين ، وهو ما يكون فيه المستثنى بعض المستثنى منه ، ويحكم على أحدهما بنقيض ما يحكم به على الآخر ، كما ترى في مثال المؤلف . (٢) فإلاّ بمعنى غير ، وهي وما بعدها صفة لآلهة ، لأن المراد من الآية نفي الآلهة المتعددة ، وإثبات الإله الواحد ، الفرد .

(٣) ونحو قولك : « إلاّ طعامَك ما أكل زيد » نصّ عليه الكسائي ، واليه ذهب أبو اسحق الزجّاج في بعض المواضع .

(٤) اختلف مذهب الكوفيين في العامل في المستثنى النصب ، نحو « قام القوم إلاّ زيداً » فذهب بعضهم إلى أنّ العامل فيه « إلاّ » واليه ذهب أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد وأبو اسحق الزجّاج من البصريين ، وذهب الفرّاء ومن تابعه من الكوفيين ـ وهو المشهور من مذهبهم ـ إلى أن « إلا » مركبة من إنّ ولا ، ثم خففت إنّ وأدغمت في لا ، فنصبوا بها في الايجاب اعتباراً بانّ ، وعطفوا بها في النفي اعتباراً بلا ، وحُكي عن الكسائي أنه قال : إنما نصب المستثنى لأن تأويله : قام القوم إلاّ أن زيداً لم يقم ، وحُكي عنه أيضاً أنه قال : ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول . (الانصاف ١ ـ ١٦٧ وانظر فيه حجج الفريقين) . (٥) في « الأوضح » والمستثنى بسوى كالمستثنى بغير في وجوب الخفض ، ثم قال الزجاج وابن مالك سوى كغير معنى وإعراباً ويؤيدهما حكاية الفرّاء « أتاني سواك » فقد وقعت فاعلاً .

لازم المحلية[1] كقوله :

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة ، إني اذاً لصبور

وقولهم أتاني سواك ، حكاه الفرّاء[2] «وليس» ينصب بها[3]، ومثله «لا يكون»[4]

(١) وفي «الانصاف» ذهب الكوفيون الى أنّ سُوى (ومثلها سَواء) تكون اسماً وتكون ظرفاً ، واحتجوا بأن قالوا : الدليل على انهـا تكون اسماً بمنزلة «غير» ولا تلزم الظرفية ، أي (المحلية) انهم يدخلون عليها حرف الخفض ، قال الشاعر :

ولا ينطق المكروه من كان منهمُ إذا جلسوا منا ولا من سَوائنا

فأدخل عليها حرف الخفض ، والبيت للمرار بن سلامة العجلي ، (شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام) وقال الآخر :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفي أو سَواها

فسواها في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في «فيها» والتقدير : أم في سواها والذي يدل على ذلك أنه رُوي عن بعض العرب أنه قال : «أتاني سَواؤك ، فرفع ، فدل على صحة ما ذهبنا اليه (أي من كونه غير لازم المحلية ، أي الظرفية) »اهـ ملخصاً من الإنصاف ١ - ١٨٦) .

وهذا البيت لأبي دَهبل الجُمَحي وهب بن زمعة بن أسد من بني جمح ابن لؤي بن غالب (٦٣ هـ) . (٢) وقد تقدم شرحه .

(٣) في الحديث : «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه ، فكلوا ليس السنَّ والظفرَ» الإنهار : الإسالة ، والسن خبر (ليس) منصوب على الاستثناء من فاعل أنهرَ المستتر فيه ، وما بينهما معترض ، والحديث وارد في الذبائح . (٤) تقول : أتوني لا يكون زيداً ، واسمها ضمير مستتر عائد على اسم الفاعل المفهوم من الكلام السابق ، أو البعض المدلول عليه بكلّه السابق ، فتقدير : قاموا ليس زيداً : ليس القائم أو ليس بعضهم ، وعلى الثاني فهو نظير : «فان كنّ نساءً» بعد تقدم ذكر الأولاد الشامل للذكور والاناث ، والنون في «كنّ» عائدة على البعض المفهوم وهو الإناث ، وهي اسم كان و«نساء» خبرها (من أوضح المسالك وشرحه ٢ -١٣) .

وخلا وعدا(١)، وقد يجرّ بهما(٢)، وقد تصدران بما فلا يجران خلافاً للشيخ(٣)، ومن أدواته «حاشا» يُجرّ بها، وقد ينصب(٤)، فهو إذاً فعل لا فاعل له

---

(١) في قولك خلا زيداً وعدا زيداً فهما فعلان، وما بعدهما منصوب بهما، وفاعلهما ضمير مستتر، وفي مفسِّره: البحث السابق في ليس ولا يكون، فلا حاجة الى تكراره. (٢) أي وهو قليل نحو خلا زيدٍ وعدا زيدٍ، فخلا وعدا حرْفا جرٍّ، وقد حكاه الأخفش، بل نقله سيبويه في كتابه (٣٧٧/١) فقال: وبعض العرب يقول: ما أنا من القوم خلا عبدِ الله (بالجر) فجعلوا خلا بمنزلة حاشا اهـ ومن ذلك قوله:

خلا اللهِ لا أرجو سواك، وإنما أعُدُّ عيالي شعبة من عيالكا

ولم يعين قائل هذا البيت، وفيه شاهدان الأول استعمال الشاعر «خلا» حرف جرّ، والثاني: جعله الاستثناء أول الكلام أي قبل المستثنى منه، وقبل العامل فيه، وذلك جائز عند الكوفيين كما تقدم.

(٣) أي إن تقدمت عليهما (ما) وجب النصب بهما فتقول: قام القوم ما خلا زيداً، وما عدا زيداً، فما مصدرية، و«خلا وعدا» صلتها، وفاعلهما: مُستتر كما تقدم تقريره، هذا هو المشهور، وأجاز الكسائي «الشيخ» الجرّ بهما بعد «ما» على جعل «ما» زائدة، وجعل «خلا وعدا» حرفي جر، فتقول: «قام القوم ما خلا زيدٍ وما عدا زيد» وقال ابن مالك في خلا وعدا:

وحيث جَرّا فهما حرفان كما هما إن نَصَبا فعلانِ

قال الشُرّاح: وهذا مما لا خلاف فيه.

(٤) الجرّ بحاشا كثير، والنصب بها قليل، والنصب بخلا وعدا كثير، والجرُّ بهما قليل، وقد أشار الى ذلك المصنف بقوله: وقد يجر وقد ينصب الخ.

عند الفرّاء[١] ، وفاعله مستتر راجع الى البعض المدلول بالكل فتقدير : قاموا حاشا زيداً ، أي خلا بعضهم زيداً ، وقيل الى اسم الفاعل المدلول عليه بالفعل ، فتقديره : حاشا القائم زيداً ، وقيل الى الفعل المفهوم من الكلام السابق ، فالتقدير : حاشا فعلهم فعلَ زيد ، ويجري هذا الخلاف في « خلا » و « عدا » و « ما عدا » و « ما خلا » ومنه بَيْدَ يُجَرُّ بها كالغير[٢] .

(١) في شرح الأشموني (٢/٥٠٣) الذي ذهب اليه الفرّاء ، أنهـا فعل لكن لا فاعل له ، والنصب بعده إنما هو بالحمل على إلاّ ، ولم ينقل عنه ذلك في خلا وعدا ، على أنه يمكن أن يقول فيهما مثل ذلك اهـ وقال الصبان في حاشيته عليه ، قوله : لكن لا فاعل له : أي ولا مفعول كما قاله بعضهم ، وقوله : بالحمل على (إلاّ) أي فيكون منصوباً على الاستثناء ، ومقتضى حمله على (إلاّ) أنه العامل للنصب فيما بعده اهـ وعلق عليه الأستاذ الغلاييني رحمه الله في جامع الدروس العربية (٣/١٤٠) بقوله : والحق الذي ترتاح اليه النفس أن تجعل هذه الأدوات : « خلا وعدا وحاشا » في حالة نصبها ما بعدها ـ إما أفعالاً ، لا فاعل لها ولا مفعول ، لأنها واقعة موقع الحرف ، وإما أحرفاً للاستثناء منقولة عن الفعليـة الى الحرفية ، لتضمنها معنى حرف الاستثناء ، كما جعلوها ـ وهي جارّة ـ أحرف جرّ ، وأصلها الأفعال .

(٢) قال الفرّاء : يجوز أن يبنى « غير » في الاستثناء مطلقاً ، سواء أضيف الى معرب أو مبني لكونه بمعنى الحرف يعني (إلاّ) ، ومنعه البصريون لأن ذلك فيه عارض غير لازم ، فلا اعتبار به ، وأما إذا أضيف الى أنّ فلا خلاف في جواز بنائه على الفتح ، ويجوز أن يكون مبنياً لكونه استثناءاً منقطعاً ، وقولهم : « بيد » مثل « غير » ولا تجيء إلاّ في المنقطع مضافة إلى أنّ وصلتهـا ، قال النبي (ﷺ) : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » ويجوز أن يقال ببنائها لإضافتها إلى أنّ ، وأن يقال هي منصوبة لكونها في الاستثناء المنقطع اهـ ملخصاً .

المعارف — اعرف المعارف العلَم [1] ، ثم كناية المتكلم ، ثم المخاطب ، ثم أسماء الاشارة ، ثم كناية الغائب ، ثم الموصولات وأولات اللام ، والمنادى ، والمضاف الى أحدها . ثم العلم : ـ إن صدّر بأب أو أم ، أو ابن أو بنت ـ فكنية ؛ وإلاّ فإن قصد به مدح أو ذم ، فلقب ؛ وكثيراً ما يضاف الاسم الى اللقب ، ويجوز الإتباع [2] ، ويجب اللام اذا ثني ، أو جمع ، أو كان جزءاً منه ، ولو جُعل مبنيٌّ عَلَماً لنفسه فالحكاية ، وقد يُعرب ، ولو لغيره

(ملحوظة) امتدَّ نفَس القول في إيضاح غوامض هذه العجالة ـ على شدة ايجازها وكونها رؤوس مسائل من نحو الكوفيين ، وليست كتاباً مستوعباً لمذهبهم ، ولا هي باسطة لمسائل الخلاف مع غيرهم . وقد جعلت هـذه مكان أطروحة كان ينبغي أن ترفع الى المجمع الموقر أيام تفضله بانتخابي عضواً فيه ، ولكن لم يكن ذلك شرطاً للمنتخب ، وقد أشار علي أستاذنا الرئيس باختصار تعليقاتي عليها لأن مواد مجلة المجمع منوعة وموفورة ، فرأيت الحق فيما قال حفظه الله ، وسأوجز شرحي لما بقي منها بقدر الامكان ، وبالله المستعان .

(١) في الإنصاف للأنباري (١٠١ ـ مسألة) ذهب الكوفيون الى أن الاسم المبهم نحو «هذا وذاك» اعرف من الاسم العلَم ، نحو «زيد وعمرو» وذهب البصريون الى أن الاسم العلم ، أعرف من الاسم المبهم ، واختلفوا في مراتب المعارف ، وذكر ما ذهب اليه سيبويه (١٧٧) ، وابو بكر ابن السراج البغدادي (٣١٦ هـ) وابو سعيد السيرافي ، ثم إنّ الأنباري قدم المبهم أيضاً ، وذهب اليه واحتج له ، والخطب سهل والله أعلم .

(٢) نحو هذا سعيدٌ كرزٌ ، وأوجب البصريون فيه الإضافة .

فالإعراب [١] ، وكذا علم الجنس في هذه الأحكام كأسامة .

[الأسماء العاملة]

المصدر — لا يعمل الا مضافاً [٢] ، وأما نحو قوله : « بضربٍ بالسيوف رؤوسَ قوم » تنصب بفعلٍ مقدّر [٣] . ويعمل هو وكنايته [٤] نحو : مروري بزيد أحسن منه بعمرو .

---

(١) في شرح الرضي ما نصه : واذا نقلت الكلمة المبنية وجعلتها علماً لغير ذلك اللفظ فالواجب الاعراب ، وإن جعلتها اسم ذلك اللفظ ـ سواء كانت في الأصل اسماً او فعلاً او حرفاً ـ فالأكثر الحكاية ، كقولك : مَن الاستفهامية حالها كذا ، وضَرَب فعل ماض ، وليت حرف تمن . وقد يجيء معرباً نحو قولك: ليتُ ينصب ويرفع قال :

ليت شعري واين مني ليت   إنّ لوّا وإنّ ليتا عناء

(٢) نحو : « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ » فدفعُ مصدرٌ مضافٌ الى فاعله ، وهو لفظ الجلالة ، والناس مفعوله .

(٣) تتمة البيت : « أزلنا هامَهنّ عن المقيل » وهو للمرّار بن منقذ التميمي . و (الهام) جمع هامة وهي الرأس ، والمقيل أراد به الأعناق وهي مقيل الرأس . وقوله : رؤوسَ قوم : كلام اضافيّ منصوب بفعل مقدّر على مذهب الكوفيين ، و « بضربٍ » على مذهب البصريين ، وهو مصدر منكّر منون .

(٤) أي مضمره كما ترى في مثال المؤلف أي مروري بزيد أحسن من مروري بعمرو ، فالهاء في « منه » نابت عنه (أي عن المصدر) ولم يجوزه البصريون .

ولا يعمل مصغراً (١)، وذاتا (٢)، ومنعوتا قبل العمل (٣)، وجمعاً أو مثنى؛ ولا يعمل في النائب على الفاعل، فلا يقال: أنتُظِر يوم الجمعة عمرو، بمعنى انتظار يوم الجمعة زيد عمرواً. ويجوز الاتباع على محل مجرور المصدر (٤)، تقول: مرورنا وعمرواً بي قبل العصر.

اسم المصدر — يعمل منه غير العَلَم كيفما كان عندهم، وتبعهم

(١) نحو: يعجبني ضُرَيبك اللصَّ.

(٢) المصدر قد يراد به الاسم (اي الذات) لا حدوث الفعل، نحو: «العلم نور» فلا يعمل.

(٣) فلا يجوز: «سرني إكرامُك العظيمُ خالداً» بل يجب تأخير النعت كما قال:

إن وجدي بك الشديدَ أراني عاذراً من عهدتُ فيك عذولا

أي: أراني من عهدته يعذلني ويلومني فيك عاذراً لي.

(٤) في الرضي: ويحمل التوابع على محل المجرور أيضاً خلافا للجرمي في الصفة، قال: لأن الصفة هي الموصوف في المعنى، والعامل فيها واحد. ومن اتباعه المحل قول لبيد بن ربيعة بن عامر العامري:

حتى تهجَّر في الرواح وهاجها طَلَبَ المُعَقِّب حقَّه المظلومُ

يصف حماراً وأتانه، فيقول: إن هذا المِسْحَل - وهو حمار الوحش (لوروده قبله) - قد عجل رواحه الى الماء قبل اشتداد الهاجرة، وهاج الأتان وطلبها الى الماء، مثل طلب الغريم المطول بدَينه، فهو يلح في طلبه المرة بعد المرة، والشاهد فيه قوله: طلبَ المعقب .. المظلومُ حيث أضاف المصدر - وهو «طلب» الى فاعله - وهو المعقّب، ثم أتبع الفاعل بالنعت وهو «المظلوم» وجاء بهذا التابع مرفوعاً نظراً للمحل.

البغداديون خلافاً للبصريين في غير المزيد فيه الميم [١] .

اسم الفاعل — يعمل كفعله اذا كان ذا اللام مطلقاً اتفاقاً [٢] ، وكذلك

(١) في أوضح المسالك وشرحه : اسم المصدر ، ان كان عَلَماً لم يعمل اتفاقاً ، لأن الأعلام لا تعمل . وإن كان ميمياً فكالمصدر (اي يعمل) اتفاقاً ، كقوله :

أظَلومُ : إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظُلْم

وهو للحارث بن خالد المخزومي (نحو ٨٠ هـ) ظَلوم اسم محبوبته ، والهمزة للنداء ، وظلوم منادى ، ومصابكم اسم إنّ ، وهو مصدر مضاف لفاعله ، ورجلا مفعوله ، وجملة : « أهدى السلام » صفة لرجل ، وتحية : مفعول مطلق لأهدى ، أو حال من الفاعل ، وظلمٌ : خبر إنّ . (والمعنى) : إن ايذاءكم لرجل يحبكم ويتقرب إليكم غير لائق . (والشاهد) : عمل المصدر الميمي ـ وهو مصاب ـ عمل الفعل . وان كان غيرهما ـ أي غير العلَم والميمي ، لم يعمل عند البصريين ، ويعمل عند الكوفيين والبغداديين وعليه قوله :

أكفراً بعد ردّ الموت عني وبعد عطائك المائة الرِّتاعا

وهو للقَطامي من قصيدته التي مطلعها :

قفي قبل التفرق يا ضَباعا ولا يك موقف منك الوَداعا

يخاطب زفر بن الحارث الكلابي ـ وقد أطلقه من الأسر ، وردّ اليه ماله ، واعطاه مائة من الإبل ، التي ترعى كيف شاءت . (والمعنى) : لا ينبغي أن اجحد نعمتك عليّ بعد أن خلصتني من الأسر ، وأعطيتني مائة من الإبل الراتعة (والشاهد) : عمل اسم المصدر ، وهو عطاء عمل الفعل ، وهو قليل (١١٣/٢) باختصار .

(٢) أي ماضياً كان أو غيره ، معتمداً او غير معتمد ، مصغراً او موصوفاً ، لوقوعه حينئذ موقع الفعل إذ حق الصلة أن تكون جملة فتقول : « جاء المعطي المساكين أمس او الآن او غداً .

إذا لم يكن عند الكسائي خلافاً لغيره ـ إذا كان للماضي [1] ، او موصوفاً ، او مصغراً [2] ، وقال الفرّاء ، لا يعمل إلاّ اذا لم يكن للماضي ، واعتمد على النفي [3] او الاستفهام [4] ، او المنعوت [5] ، او المبتدأ [6] ، او الموصوف [7] ، اوذي الحال [8] ،

(يتبع) محمد بهجة البيطار

---

(١) اجاز الكسائي إعماله إذا كان بمعنى الماضي كما اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال ، وجعل منه آية « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » فـ « ذراعيه » منصوب بـ « باسط » وهو ماض ، وقال ابن هشام : لا حجة له ، لأنه حكاية الحال الماضية ، قال الأندلسي : معنى حكاية الحال ان تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان ، او تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن ، ولا يريدون به أن اللفظ الذي في ذلك الزمان محكي الآن على ما تلفظ به ، بل المقصود بحكاية الحال حكاية المعاني الكائنة حينئذ لا الألفاظ ، قال جار الله : ونعم ما قال ، معنى حكاية الحال ، ان يقدر أنّ ذلك الفعل الماضي واقع في حال المتكلم اهـ ثم ان الخلاف الذي بين الجمهور والكسائي هو في نصب اسم الفاعل المفعول به : أما الفاعل ، فان كان ضميراً رفعه اتفاقاً بلا شرط ، أو ظاهراً فكذلك ، لكن بشرط الاعتماد على شيء مما يأتي . (٢) قال الأشموني (٢/١٨٢) الثاني (اي من التنبيهات) : من شروط إعمال اسم الفاعل المجرد أيضاً ان لا يكون مصغراً ، ولا موصوفاً ، خلافاً للكسائي فيهما ، لأنهما يختصان بالاسم ، فيبعدان الوصف عن الفعلية . قال في شرح التسهيل : ووافق بعض أصحابنا الكسائي في اعمال الموصوف قبل الصفة ، لأن ضعفه يحصل بعدها لا قبلها (نحو : هذا ناصرٌ زيداً عاقلٌ) ونقل غيره أن مذهب البصريين والفراء هو هذا التفصيل وأن مذهب الكسائي وباقي الكوفيين إجازة ذلك مطلقا اهـ . (٣) نحو: « ما طالب صديقك رفع الخلاف »

(٤) نحو : « هل عارف أخوك قدر الانصاف » . (٥) نحو : « هذا رجل مجتهد أبناؤه » . (٦) نحو : « خالد مسافرأبواه » . (٧) كذا ـ وهو مكرر مع قوله : أو المنعوت وقد تقدم . (٨) نحو : « يخطب عليٌّ رافعاً صوته » .

نظرات في تأصيلات

في هذه المجلة الغراء (من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨) منشورة تباعاً رسالة عنوانها «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية»، بقلم غبطة البطريرك افرام برصوم . وقد التمسنا فريق من الزملاء والأصدقاء في سورية والعراق ولبنان، ان نبدي فيها رأينا . فلم نجد منتدحاً عن النزول عند رغبتهم، فوضعنا مقالة حوت ما عنَّ لنا ابداؤه من الملاحظات، لا كلفاً بالجدال العقيم، بل سعياً وراء الحقيقة؛ ولا سيما لوجودنا في هذا الظرف فرصة مناسبة لمتابعة خدمة المعجمية العربية، على ضوء الثنائية، وطبقاً لطريقة المقارنة الألسنيّة الساميّة .

ولوفرة الألفاظ المحققة في هذه المقالة، جاوز طولها الحد المتوقع . فرأينا الآن ان نقتضب منها طائفة من النماذج، لنوقف عليها قراء المجلة، فنستهل الكلام بتقديم بعض الملاحظات العامة .

١) مع اقرارنا بفضل اللغويين الأقدمين، لا يسعنا الاطمئنان الى اقوالهم، ليس حين تمحلهم اثبات عربية كلمة من الكلمات وهي ليست عربية، بل حتى عند زعمهم دخيلتها وهي عربية . ذلك لأنهم لم يكونوا من أهل التخصُّص في «علم التأصيل» على حد تعبيرنا العصري، لجهلهم غالباً اللغات غير العربية .

٢) من العلوم العصرية التي نشأت على يد أرباب البحث في الديار الغربية، «علم المقارنة» الذي طبقوا أصوله على شتى الفروع العلمية . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات، والشرائع، والآداب، واللغات . ومن ذلك فرع «المقارنة الألسنيّة الساميّة» . فلم يعد كافياً للتقصي عن أصول الألفاظ العربية، أو السريانية، او العبرية، ان يكون الباحث متضلعاً من واحد أو اثنين من هذه الألسن، بل أن يكون واقفاً على قواعد وخواص كل الساميّات الأمهات،

وما يرجع الى كل واحدة منها من اللهجات ، فضلاً عن معرفة بعض الألسنة غير الساميّة التي لها علاقة بالعربية او غيرها من الساميات الأُخر ·

٣) ان « علم التأصيل » غير قائم على الاشارة الى ان كلمة من الكلمات مستعملة في اللغة الفلانية ، بل على الارتقاء الى اللغة الينبوع الصادرة منها اللفظة المذكورة · وغير كفيٍّ الوقوف عند اللسان القناة المارّة فيه تلك المفردة · فان ادعى احد الباحثين ان هذا الحرف سرياني دخيل في العربية ، وظهر بالتقصي انه ليس بسرياني بل « مُسَرْيَن » ، ودخيل من اليونانية ، او الفارسية ، او الاكدية ، او العبرية ، فلا يجوز ، اذ ذاك ، القول بسريانيته ، وهو غير سرياني ، اذ قد يكون دخيلاً ، في كلا اللغتين من لسان ثالث · مثال ذلك الألفاظ التالية الواردة في السريانية والعربية معاً : « فردوس Pardaysâ – بستان Bustânâ – باذنجان Pâdingânâ – اسطوانة Estûnâ – ابنوس Abânûsâ – إسفين Esfînâ – بدوي Badawâyâ – كعبة : كَعبتا » · فهل من المعقول الذهاب الى ان كل هذه الكلمات سريانية دخيلة في العربية ، في حين ان التفحص يثبت لنا ان الأربع الأول منها هي فارسية ، وان « ابنوس واسفين » من اليونانية ، وان « البدوي والكعبة » من العربية ذاتها ؟

(راجع معجم Steingass الفارسي – الانكليزي ، ص ٩١٧ ، ٢٨٥ ، ١٤٠ ، ٢٥٦ – ومعجم Pillon اليوناني – الفرنسي ، ص ٣٧٤ و ١٣٠) ·

٤) من باب التقييد · لا يراد بالسريانية الا اللهجة الرهَويّة · اما الارميات الأُخر ، كالارمية الكتابية ، والمندائية ، والفلسطينية ، والترجومية ، والتلمودية ، فهي غير السريانية ، وان كنّ معها من فصيلة واحدة ، وهي الارمية · أما الاكدية ، فهي لغة قائمة بذاتها ، وغير داخلة في عداد الارميات ، لكونها فرع الساميّة الشرقية · وقد دعاها العلماء العصريون « اكّديّة » نسبةً الى مدينة « اكّد » العريقة في القدم والتي كانت واقعة في جنوب العراق · وهذه اللغة تشمل اللهجتين « البابلية والاشورية » اللتين هما فرعاها الجنوبي والشمالي ·

***

١) ثَبَ ، وثَبَ (المجلة ، المجلد ٢٣ ص ٣٣٩)

بمناسبة تحقيق هاتين اللفظتين ، نلخص بعض مبادئ الثنائية . فمن نتائج هذه النظرية ان المثال والأجوف والناقص ما هي سوى مزيدات ، أو توسعات في « الرسّ الثنائي » الذي يجري فيه اول التوسّع بتشديد الحرف الثاني منه . من ذلك ان « وثب » مزيد في الثنائي « ثبْ » وان « قام » هو الثنائي « قمْ » . اشبعت حركة حرفه الأول . ممّا يظهر في السريانية في كلمة Qâm ، اذ لا الف مقحمة فيها ؛ ومن الكتابة العربية القديمة المتجلية في رسم المصحف المحافظ عليه حتى اليوم . اذ لا نجد فيه « قام » ، بل « قم » . وكذلك كل الفتحات المشبعة لا يرتسم معها ألف . ويبين ذلك أيضاً في مجرى التصريف الذي ان هو إلاّ رَسّ الكلمة ملحقة به الضمائر . فيقال « قُمْ » تُ ، « قُمْ » تَ ، « قُمْ » تِ ، « قُمْ » تُم ، « قُمْ » نا ، الخ . مما جاء دليلاً واضحاً على ان الأصل هو الثنائي ، وان هذا الثنائي يدل على معنى تام في حالته الثنائية . وكذا الشأن في الناقص ، فان لامه ليست حرفاً ، بل اطالة او اشباع الفتحة السابقة . مثلاً « رمَى » هو الثنائي « رَمْ » حرّك حرفه الثاني بفتحة مشبعة ، علامتها في الرسم الف . كقولك « رَمى » او بفتحة مطبقة ، عند التصريف نحو « رَمَ » تْ هي ، « رَمَ » تاهما ، الخ .

أما المضاعف فهو بالحقيقة مركّب من حرفين . ويظهر ذلك في المضاعف الرباعي الذي ما هو سوى ثنائيين مكرّرين . مثلاً « قَرْقَرْ » ، « خَرْخَرْ » ، « دَبْدَبْ » ، « مَرْمَرْ » ، « لَعْلَعْ » ، « لَأْلَأْ » الخ ومن هذه المادة اشيء وافر في اللغات السامية ولهجاتها . وقد جمعنا منها ٣٥٠ في العربية الفصحى وحدها . ويوجد اكثر منها في اللهجات . وما هذه الأفعال واسماؤها الاّ حكاية اصوات الطبيعة والحيوانات المندفعة الى تكرار مقاطع ، ولا حروف . وكل مقطع مركب من حرفين متحرك فساكن . مما هو وارد على هذا النمط في

اللغات الساميّة الباقية . كالسريانية مثلاً نجد فيها « زَلْزَلْ » ، « بَلْبَلْ » ، وما شاكل ذلك ، وكذا الحال في اللهجات العربية . اما الفصحى فالفتحة الواقعة في آخر الثنائي الثاني ، كما في آخر الافعال السالمة ، داعي وجودها هو الأصل . ولذا فعوض ان يقال « خَرْخَرْ المآءْ » قيل « خَرْخَرَ المآءُ » وبدل « قتلْ الرجلُ » قيل في الوصل « قتلَ الرجلُ » . وبعد ذلك بقيت الفتحة في غير حال الوصل . وأنت ترى ان الطبيعة عينها ميّالة الى الثنائية ، ولا الى « الأحاديّة » ، كما يمكن التوهم ان الانسان الأول بدأ يتكلم بحروف منفصلة ، لأن الحروف المنفصلة لا وجود لها في جدول الأبجدية ، أي في الكتابة ، ولا في اللفظ . والسبب ان أعضاء النطق عينها لا تخرج للتكلم حروفاً صامتة متفرقة ، بل مقاطع مركبة من الصامتات تحركها الصائتات .

ومن الأدلة على وجود الثنائي في أصل اللغات ، ولا سيما السامية منها ، هو ان المضاعف العربي . الذي يقال انه مركب من ثلاثة أحرف اصلية ، لا نجده في السريانية الاّ بحرفين اثنين لا اكثر ، مثلاً مقابل « حَمّ » العربية نرى في السريانية « حَمْ » ، وبازاء « مَصّ » ، « مَصْ » ، وبحذاء « مَسّ » ، « مش » . وهكذا في كل المضاعفات التي هي بالحقيقة « ثنائيات » . والثنائي وارد في كل الساميات متصفاً بمعنى حقيقي وتام .

ولنا برهان حسيّ جليّ على وجود الثنائي في أصل اللغة يستخرج من العناصر الأولية للغة العربية ، وهي اسماء الأصوات ، ودعاء الحيوانات او زجرها ، وبعض اسماء الأفعال . فهي ثنائية ، ومنها كان بدء المضاعف ومكرره . دونك الألفاظ التالية على سبيل المثال . اذ منها في اللغة شيء كثير : « أُفْ » : كلمة تكرّه وتضجّر . (لسان ١٠ – ٣٤٩) ، و « أهْ » كلمة توجع . (بستان ٧٨) ، و « بَهْ » و « بَخْ » : كلمتان تقالان عند استعظام الشيء . (بستان ١٩٨) و « غَسْ » : كلمة زجر للهر (لسان ٨ – ٣٤) . و « ضَعْ » : اسم صوت

يزجر به الجمل حين ترويضه (شر ٦٨٤) و « بِسْ » : دعاء وزجر للغنم وغيرها (بستان ١٤٣) ، و « صَهْ » : أمر بالسكوت (شر ٦٦٦) و « مَهْ » : امر بالكف (بستان ٢٣١٣) . فمن هذه الثنائيات وغيرها صيغ افعال ، إما بتحريك الحرف الساكن وتشديده ، وأما بتكرار الثنائي ذاته وتحريك الآخر . فقيل « أفَّ » ، و « أهَّ » ، و « بَهَّ » ، و « بَخَّ » ، و « غَسَّ » ، و « ضعَّ » ، و « بَسَّ » ، و « صَهْصَهَ » ، و « مَهْمَهَ » . وكذا القول في « ثَبَّ » ، فانه مشتق من « ثَبْ » ومنه المكرر « ثَبْ ثَبْ » (لسان ١ – ٢٢٨) .

أما « وَثَبَ » فهو « ثَبَّ » ، زيدت فيه الواو تتويجاً ، فحصل من ذلك ما يدعى في الصرف « مثالاً » . ولاحظنّ كيف تجري الزيادة في « ثَبْ » و « ثَبّ » ، اي باضافة حرف مع بقاء اللحمة المعنوية بين المجرد والمزيد ، وهي بالحقيقة مستمرة بينهما . اذ ان « ثَبْ » يراد به الجلوس بتمكن (بستان ٢٥٨) . و « وَثَبَ » بمعنى القعود ، في لغة حمير ، ويدل أيضاً على النهوض وحتى على الطفر . (لسان ٢ – ٢٩١) . على ان هذا التضادّ يزول ، اذا عرفت ان الثنائي « ثَبْ » متضمّن معنى عاماً هو فحوى « الحركة » التي هي أساس هذه المداليل المختلفة ، لا بل المتضادّة ظاهرياً . فعند فريق ، او قبيلة من القبائل ، دلّ الفعل على القعود ، لأن في القعود حركة . وعند قبيلة اخرى ، اطلق الفعل على القيام ، والقفز ، لأن في كل ذلك كامن المدلول العام . وهو « الحركة » .

أما القول « وهو قول الأستاذ أ . غليوم ، المستعرب الانكليزي (مجلة المجمع العلمي م : ٢٤ ص ١٤٩) بان « مَن وَثَبَ هو بمنزلة من جلس في الهواء » ، فهو من المعاني التي لم تكن لتخطر في بال العرب حين وضعوا كلمة « وثَبَ » ، لحسبان مثل هذا الحادث ، عصر ذاك ، من « خوارق الأنبياء » . بيد انه يفهم في عصرنا الذي تمكن فيه الانسان من ان يجلس نوعاً من الجلوس في الهواء ، اعني بركوبه الطائرة .

ومما يجدر بلفت النظر في هذه «رسالة الألفاظ السريانية» انه مقابل «ثَبّ» العربية وارد فيها لفظ Yithèb السرياني . ومعناه «وَثَبَ ، جلس ، قعد» . (منا ٣١٩) . مما ينجم عنه بوضوح ان «الرسّ الثنائي» هو «ثَبْ» . فتوسّع بالزيادة بطرق مختلفة ، مع استمرار الصلة المعنوية بينه وبين مزيداته ، اي «فحوى الحركة» أولاً في العربية ، بتضعيف حرفه الثاني ، فجاء منه «ثَبّ» ، ثم باضافة «واو» تتويجاً ، في العربية ذاتها ، فصدر عن ذلك فعل «وَثَبَ» . ثم بزيادة «ياء» بالتتويج أيضاً في السريانية . فنشأ فعل Yithèb وكذلك زيدت «الياء» بعين الطريقة ، في العبرية Yâshab ، وفي الارمية Yethèb (Brown 442) . ونجد في الحبشية Awsaba ، كما في العربية . اي باضافة «واو» (Dil 903) اما الاكدية فوارد فيها Ashâbu و Washâbu ، اي باضافة «واو» أيضاً كالعربية والحبشية (Bezold 72) .

وأنت ترى ان هذه «رسالة الألفاظ السريانية» تفترض وجود الثنائية دون شعور وقصد منها .

وهنا أود أن أسأل : ما هو قول حضرة الأستاذ المغربي في كل هذه الأدلة والأمثال الواردة في هذه الأبحاث ؟ فها انا ذا حسب رغبته ، استفز مستنزلاً الى ميدان البحث وتبادل الأفكار ، كل من تلذ لهم هذه الدروس . لأنه باحتكاك الآراء يبرق وميض الحقيقة .

* * *

ب) اصل كلمة «بيعة» (م – ج ٢٣ ص ٣٣٠)

يقول «مؤلف الرسالة» : «اجمع علماء السريانيين ان البيعة عبرية الأصل ، اشتقت من حرف «عيدا» اي العيد ، وهو عبراني ارامي» فيحق لنا أن نسأل : من هم هؤلاء العلماء الذين أجمعوا هذا الاجماع ؟ فلو ذكر اسم واحد منهم ،

او اتى بشاهد نَصّيّ واحد بدعم هذا القول ، لكان ذلك طبقاً للأساليب المرعية في البحث ، ولأرضى أرباب التحقيق الذين يحقّ لهم المطالبة بالنصوص ، ليكونوا على بينة وثقة مما يبسط لهم من الآراء . بيد انه ان ضنّ علينا المؤلف بالشواهد السريانية ، مع اكثاره ، بل افراطه في سرد المراجع العربية ، فنحن نعرف ما هو رأي المؤلفين السريان في ذا الشأن من معاجم هذه اللغة التي بين يدينا ، ففريق من أربابها يزعمون ان اصل «عِدْتا» السريانية من كلمة «عِيد» المشتقة من «عُود» . غير ان الأصوب هو صدور هذه اللفظة السريانية من «عَيْدَه» العبرية ، ومعناها : المحفل والجماعة . وهي مشتقة ، لا من «عُود» الأجوف ، بل من «يَاعد» المثال اليائي ، الذي ينظر اليه في العربية فعل «وعَد» ولا يقابله فعل مجرد من هذه المادة في السريانية . لأننا لا نجد فيها سوى الاسم «وَعْدَا» (منّا ١٨٣) . ومعلوم ان الهاء في «عَيدَه» تقلب تاء عند الاضافة في العبرية (معجم Gesenius ٦٠٤ ي) مثلاً : «عَيدَتْ اسرائيل» اي «جماعة اسرائيل» ، كما نلفي في العربية الكلمات التالية «عِدة» من المثال الواوي «وعَدَ» ، وكذلك اخواتها «ثِقة من وثق ؛ وسِمة ، من وسم ؛ وتِدة ، من وتد ؛ وتِرة ، من وتر ؛ وثِبة ، من وثب ؛ وحِدة ، من وحد» . وهذه التاء عوض الواو الساقطة ، حسب قول الصرفيين . فأصل «عَيدَه» أو «عَيدَتْ» هو «يَعْدَه أو يَعْدَتْ» . كما ان اصل «عِدْتا» السريانية هو «وَعِدْتا» ، حسبما أشار الى ذلك القرداحي بقوله «ان التاء في «عِدْتا» هي عوضٌ من الواو المحذوفة من وعد . (اللباب للقرداحي ١ — ٣٢٦) . وهذا المؤلف هو الذي ، خلافاً لغيره من اهل المعاجم السريانية ، اورد كلمة «عِدْتا» في مادة «وَعْدَا» ، للدلالة على انها من المثال : كما ان Gesenius وضع لفظة «عَيدَه أو عَيدَتْ» في مادة «يَاعَدَ» . ولا في مادة «عُود» ، في معجمه العبري ـ اللاتيني .

أما من جهة التركيب او النحت الذي يفترضه المؤلف ، وهو « بيت عِدْتا » ، وان منه صدرت « بيعة » ، فنرى فيه تعسفاً صارخاً . لأننا لم نجد في المعاجم « بيت عدتا أو عيدا » ، في حين اننا وقعنا على مركبات من هذا القبيل ، مثلاً « بيت سجدتا » و « بيت صلُوتا » و « بيت تِشْمِشْتا » (معجم بروكلمن السرياني ٧٠ ي) . وكلها بمعنى كنيسة . ولهذا لا نظن محتملاً اشتقاق « بيعة » من « عِيدا او بيت عِدتا » بهذا التركيب او النحت الغريب .

اذن ما هو اصل « بيعة » ؟ اننا ، والحق يقال ، لم نقف حتى الآن على تأصيلها لأحد من المؤلفين السريان ، او العبريين ، او العرب . أجل ان هناك مرادفاً « لبيعة » في العربية ؛ وهو « كنيسة » ، معرب « كْنِيشْتا » السريانية (Payne - Smith 1775) أو « كِنِيسِيْت » العبرية (المالح ٧١٠) . وعليه نبسط للباحثين في أصول الألفاظ رأياً لا علم لنا بأن أحداً من المؤصلين (étymoligistes) ارتآه . فنبديه مؤيداً بادلة احتمالية ، ولا سيما لأن المادة « باع » الواوي واليائي ، لا تمت كلمة « بيعة » اليها بصلة او لحمة معنوية .

نورد ، بادئ بدء ، مثالاً من العربية ذاتها . هناك لفظة « قبة » يراد بها أولاً الخيمة المستديرة المقعّر سقفها . والمصنوعة من الادم او غيره . من ذلك « قبّة الشهادة » عند اليهود : خيمة كتّان كان يغطّى بها تابوت العهد . من ذلك أيضاً « قبة نجران » كانت قبة مشهورة يضرب بها المثل . وكانت مصنوعة ، حسبما يقال ، من ثلثمئة قطعة من جلد . وكانت تسع الف شخص . وكان العرب يدعونها « كعبة نجران » . لأنهم كانوا يقصدونها للزيارة ، كما يقصدون الكعبة . ويخبرنا ياقوت الحموي ان هذه القبة او الكعبة كانت « بيعة » بناها بنو عبد المدان (معجم البلدان ٤ — ٧٥٦) ثم أطلق اسم « قبّة » على كل بناء مقعّر السقف مستديره معقود بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة . ثم شمل كل مقام او مشهد يحوي قبر أحد الأولياء ، أو غرضاً مقدساً ، من ذلك

« قبة الصخرة » في الحرم الشريف القدمي (راجع اللسان ٢ – ١٥٣ ؛ وأقرب الموارد للشرتوني ٩٥٧ ، ومعجم دوزي ٢ – ٢٩٩) .

فاذا كان الأمر كذلك ، نقول : في السريانية واردة مفردة « بِيعْتا » ، وتدل في اصل وضعها على « البيضة » . لكن يعنى بهـا أيضاً كل بناء مقبَّب بشكل البيضة . وفي العربية عينهـا يطلق لفظ « البيضة » على « الخوذة » ، لهيئتها البيضيّة .

فكما ان « القبَّة » تدل في العربية على البناء المقعَّر السقف . ولا سيا البناء المقدس – فورد من ذلك « قبّة الصخرة » و « قبة نجران » – وهما مسجد وكنيسة – فمن باب المقايسة يسوغ لنا القول بان المعابد ، او المقادس ، او الكنائس ، سميت وقتاً ما ، عند السريان باسم « بِيعْتا » ؛ لأنها كانت مقبَّبة على شكل « بيضة » . ومن هذه اللفظة جاءت كلمة « بيعة » دخيلة في العربية .

ودونك ماورد في معجم المطران اودو الكلداني (١ – ٧٤) : « بِيعْتا » لها جمعان : الأول « بَيعَي » ، والثاني « بِيعاثا » . فالجمع « بَيعَي » يستعمل غالباً للدلالة على بيض الحيوانات . أما الجمع « بِيعاثا » فيطلق على كل ما يشبه البيض ، كالقبة وغيرها » .

ولنا نص يدل على ان كلمة « بيعة » يرادبها ، المقدس او بيت العبادة ، وهو شعر جرير الذي أورده الأستاذ ا غليوم في مجلة المجمع العربي (م ٢٤ ص ١٤٩) وهو :

يمشي بهـا البقر الموشى اكرعه مشي الهرابذ حجُّوا « بيعة » الزون

وعليه يمكن جعل « البيعة والقبة » مترادفين يجوز اطلاقهما على المقدس او بيت الاجتماع للصلاة والعبادة ، وهكذا تكون لفظة « البيعة » كلمة واحدة ، غير مركبة او منحوتة نحتاً متعسِّفاً ، ودخيلة من السريانية في العربية .

* * *

ت) التاميذ (م - ج ٢٣ ص ٣٣٦)

نكرّر هنا ان « الألسنيّة الساميّة » غير متوقفة على البحث في لغة واحدة من الساميّات ، بل في جميعها ، مع ما يلحق بها من اللهجات ؛ ثم على اعتبار هذا المجموع كافة واحدة قد تفرّقت خواصّها واسرارها في مختلف اللغات الاخوات . ولذا وجب الاستعانة تارةً بميزات الواحدة لفائدة الأخرى ، وطوراً السعي في انارة الغامض في هذه بما هو واضح وصريح في تلك . فلا يكفي ، والحالة هذه ، وضع أصول الساميات البواقي بازاء المادة العربية - كما الأمر جارٍ في بعض المعاجم العبرية المصرية ، في الديار الغربية ، وهو على ما يظهر المقصود تحقيقه في معجم المجمع اللغوي المصري - لأن مثل هذا العمل ، مع ما فيه من الجودة ، لا يلقي على المواد المبحوثة الاّ نوراً ضئيلاً ، ولا يأتي الاّ بفائدة جزئية ، لعجزه عن ايضاح التناسق المعنوي المنطقي ، وازالة التضارب والتنافر الظاهر ليس بين المعاني العربية فحسب ، بل بين مداليلها ومداليل اخواتها الساميّة الأخر .

أما نحن - فمع تمنينا النجاح لكل من يسعى في خدمة العربية - نعتمد ، في بحوثنا المعجمية المنشورة في الكتب والمجلات ، على التنسيق والتعليل ، بدءاً من « الرَس الثنائي » ، مصدر كل الدلالات المتطوّرة أثناء سيرها في سبيل الاشتقاق . وهذا ما صنعه كبير المستسيمين Gesenius في المعجم العبري ، وما أجراه المستعرب الشهير الكونت de Landberg في معجم اللهجة الدثينيّة . ولوجودنا اثناء تحبيرنا هذه الاستدراكات مثالاً حسياً ، بين عشرات بل مئات من الأمثال ، في مفردة « التلميذ » التي نحن في صدد تحقيقها ، لا نرى مندوحة من اشباع الكلام فيه ، وان شق ذلك على من لا تلذ لهم هذه الأبحاث ، اوالذين لا يتعدى بحثهم نطاق العربية ، او السريانية .

وارد في « رسالة الألفاظ السريانية » ان : « التلميذ معربة عن « تلميذا »

السريانية ، وان لا أصل لهذا الحرف في العبرية . وانما هو سرياني اصله من Lmad اي جمع وأضاف » .

أما نحن فنقول ان الكلمة سامية ، لورودها في كل اللغات السامية وفي ضمنها العبرية ؛ وان الرس الأولي فيها ليس من السريانية ، بل من العربية التي لها الفضل العميم والتفوق الرفيع على سائر أخواتها ، لغناها بالأصول البدائية . وقبل تبيان ذلك بالتنسيق والتعليل نسرد مختلف معاني المادة في هذه الألسن ، لتكون مجالاً للتحقيق .

السريانية Lmad : جمع ، أضاف ـ Talmèd : هذب ، علم ـ Talmîdâ : طالب ، متعلم ـ (منّا ٣٧٨ ؛ P-S 1953 ss) الارمية : Talmîdâ : طالب علم . (Jas. 1972 s) ـ المندائية : Tarmîdâ (بالراء بدل اللام) : تلميذ (P-1 1955) ـ العبرية : Lâmad : ضرب بالسياط ، عاقب ، روّض ، عوّد ، علّم ـ Malmèd : مهماز يضرب به للترويض . خاصةً الحيوانات ـ Talmûd : تعليم ، نظرية ـ Talmîd : متعلّم ، دارس (Jas. 712 ; Ges. 756) ـ الحبشية : Lamada : تعود ، آلف ، واظب ـ Lumûd : متعوّد ، اليف ـ Lemâd : عادة ، طبع ـ Talmîd : دارس (Dil. 35) ـ الاكدية : Lamâdu : تعلّم ، عرف ـ Lamâdûtu : تعلُّم ـ Mulammidu : معلّم ، استاذ ـ Talmîdu : دارس (Bz;159 s M-A 485) ـ العربية : لَمَد : تواضع له بالذل . لمده : لدمه (مقلوب منه) ـ تلمذ له وتتلمذ : صار تلميذاً له ـ التلميذ : المتعلم العلم أو المهنة . (شرتوني ٧٩؛ و ١١٦٠) .

تنسيق وتعليل

١) الرسّ الثنائي ، مبدأ التطوّر المعنوي . في هذه المادة هو « لَدْ » العربي ، الدال على الشدة ، ولا سيا في الخصومة ، ويشبهه في الدلالة « لَـثْ ولَـطْ » (شر ١١٢٤) .

٢) من الثنائي «لَدْ» . اشتق «لَدَم» الذي معناه : ضرب بكلا اليدين . ومثله في الدلالة : «لتم ولطم» . (شر ١١٣٧، ١١٢٨، ١١٤٤) .

٣) مقلوب «لَدَم» في العربية «لَمَدَ» . وخصوصاً في العبرية Lâmad الذي فحواه الأصلي : ضرب بالسوط للاخضاع والتذليل ، ولا سيما الحيوانات ، قصد ترويضها وكسر شوكتها بالمهاز المسمى في العبرية Malmèd .

٤) من هذا الترويض الذي يتم بتكرار العمل نشأ مدلول التعوّد والتطبّع والتآلف . وبهذا المفهوم ورد Lâmad في العبرية ، و Lamada في الحبشية .

٥) من الترويض البدني والتعوّد ، انتقل المعنى الى الترويض الأدبي ، أي التهذيب ، والتثقيف ، والتعليم ، والتدريس ، والارشاد . وهذا منطوق Lamâdu في الاكدية ، اي تعلّم ، عرف . و Mulammidu : معلم .

٦) في السريانية تتوّج الفعل بتاء . فجاء Talmèd ، على وزن «تَفعل» ، ومدلوله : هذّب ، أرشد ، علّم . وفي العبرية Talmûd تعليم ، نظرية . ومنه الكلمة الجاري تحقيقها والواردة في كل الألسنة السامية وهي «تلميذ» كما ذكر أعلاه .

٧) أما Lmad السرياني ، فرأينا انه يعني : « جمع ، أضاف : فهل هو يا ترى ، كما يقال في «الرسالة» اصل كلمة «تلميذ» ؟ من العسر ، والحق يقال ، ان نجد علاقة معنوية بين هذا الفعل ، وهذا الاسم . ان جميع المعاجم السريانية تورد Talmîdâ في مادة Lmad ، الا معجم القرداحي ، فانه يفرق بينهما بوضعه Talmîdâ في المادة المبتدئة بالتاء ، و Lmad في المادة التي فاؤها لام . (اللباب ٢ ص ٢٥ ، و ٦٢١) فذلك يعني انه لا يفترض اشتقاق Talmîtâ من الفعل Lmad . وهذا ، على ظننا ، عين الصواب . لأن Lmad يعني : «جمع ، أضاف» صادر من الثنائي «لَمْ» بزيادة الدال ، ومفهومه : جمع وضم (منا ٣٧٧) . أما Talmîdâ فهو وارد في الساميات بأسرها . واشتقاقه طبيعي ، كما رأينا ، من

« لَدْ ولَدَم » في العربية ، ومن Lâmad العبري ، الدال على الضرب ، والترويض ، والتعليم والتهذيب .

وأنت ترى كيف ان المقارنة السامية لا تتم ولا تفيد شيئاً يذكر ، اذا أجريت بين السريانية والعربية وحدهما ؛ وكيف ان تطبيقها على الساميات بأجمعها يزيل التضارب والتنافر ، ويثبت المنطقية في الاشتقاق ، المبتدئ من « الرّس الثنائي » ويعود بالنفع الجزيل على المعجمية السامية عموماً ، وعلى المعجمية العربية خصوصاً .

* * *

ث) اصل كلمة « ختن » (م - ج ٢٣ ص ٤٩٠)

ورد في « الرسالة » المذكورة مايلي : « الخَتَن : صهر الرجل المتزوج بابنته او اخته . قال ابن سيده (٣ : ١٥٢) . هو حرف سرياني Hatnâ . والفعل Hattèn : خاتنَ ، صاهرَ . والمصدر Hatnûtô (ح) : مخاتنة » .

قلت : من المؤسف ان هذا الرأي قائم على شفا جرف هار . والقضية ليست بهينة ، بل تتطلب تقصياً عميقاً يُتجنَّب فيه التسرّع في الحكم ، وقبل انعام النظر في الموضوع ، دونك مواد البحث كما هي واردة في اللغات السامية : السريانية : خالية من المجرد الثلاثي . وفيها « حَتّنا » : ختن ، صهر ، عريس . Hattèn : خاتنَ ، صاهرَ . eth hattèn : صاهر ، تزوّج . (منا ٢٧١ ي) - العبرية : خَتَنْ : ختَنْ ، حمو - Hôtèn (خ) زوّجَ ابنته ، تصاهر . Hihattèn : تصاهر . Hôtan (خ) صهرْ ، ختَنْ ، زوج البنت ، عريس ، ذو قربى (Bw. 368 , Ges. 539) - الاكدية : Hatânu (خ) قطع ، حمى . Hutnu (خ) : حماية . Hatânu (خ) ختَن ، صهر ، حمو . Hutnu (خ) : سكين ، موسى - (Del 290 ; Bz 199) - في الحبشية : لا وجود لهذه المادة .

العربية : ختَنَ الشيءَ : قطعه . ختَنَ الغلامَ : قطع قلفته . اسم الفاعل : خاتِن . اسم المفعول: ختين ومختون . خاتَنَ : صاهرَ . المصدر : خَتن وختان . ودعوة الختان . الختانة : حرفة الخاتِن . الختَن : الحمو . وكل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والعم والأخ .. والختَن أيضاً : زوج ابنة الرجل ، او صهره ، وأصل المعنى في هذه المادة : القطع . (لسان ١٦ ـ ٢٥٩ ي)

تنسيق وتعليل

١) ان الرس الأصلي لهذه المادة هو في العربية وحدها ، دون بقية اخواتها السامية . وهذا الرس هو الثنائي «خَتْ» المراد به : طعن بالسنان متداركاً (شر ٢٥٦) . وهو بدء المعاني المتطورة . وفي الطعن قطع .

٢) توسّع الثنائي « خَتْ » بزيادة النون تذييلاً . فنجم عنه الثلاثي « ختَنَ » . ومعناته الأولى : قطع ، من باب الاطلاق . وهذا مدلول القطع وارد أيضاً في الاكدية في كلمة Ĥatânu (خ) ومنه Hutnu (خ) سكّين ، موسى ، أي آلة القطع . ثم دل في الاكدية أيضاً على الحماية . لأنها متوقفة على منع ، أي قطع الأذى من أن ينزل بالشخص المحميّ .

٣) لكن ، في العربية وحدها ، جاء من باب التقييد ، الفعل « ختَنَ » بمعنى : قطع القلفة . والفاعل او المحترف : خاتِن . والمفعول او المتحمل العمليّة : ختين ومختون . واسم العمل : الختن والختان . ثم الدعوة أو الوليمة بمناسبة الختان . والختانة : حرفة الخاتن . وورد في السبئية : «مَختَن» : دار الختان .

٤) كل هذه الفحاوي المتضمنة في فعل « ختَنَ » ومشتقاته لا وجود لها في العبرية ، ولا في السريانية ، ولا في الحبشية . لأن الفعل المستعمل في العبرية للدلالة على الختان هو Mûl ، والختانة Mîlah ، والخاتن Môhèl (Bw 756 s) . وفي السريانية ينظر الى فعل ختَنَ Gzar ، والختانة Gzurtâ ، والخاتن Gâzôrâ

(منا ١٠٢ ي) كذلك في الحبشية لا اثر لفعل « ختن » فان الوارد فيها هو فعل Kasaba (مقابله في العربية : كسف) (Dil. 343) و Gazara (Dil.1191) (ينظر اليه في العربية فعل « جزر ») وكلاهما بمعنى : ختَن .

٥) في العربية يطلق اسم « الختَن » على ابي الزوجة . وعلى كل من كان من قبل المرأة ، مثل العم والأخ . ويراد به أيضاً : زوج ابنة الرجل ، او صهره . ومنه صدر فعل : خاتن ، صاهر .

٦) في العبرية ، وردت لفظة Hatan (خ) دالةً ، كما في العربية ، على الحمي ، او ابي المرأة . و Hôtan (خ) بمعنى الصهر ، او زوج بنت الرجل ، والعريس ، والختون . أما السريانية ، فلا يوجد فيها الا كلمة Hatnâ (ح) بمدلول الختن ، والصهر . ومن Hatnâ (ح) اشتق ، ارتجالاً ، المزيدان Hattèn (ح) و eth hattèn (ح) خاتن ، صاهر ، تزوج . أما ابو المرأة فيقال له : Hèm او Hmâ : حمو (منا ٢٤٦) .

٧) في الاكدية يطلق Hatânu (خ) على الحمي والصهر معاً . أما الحبشية ، فلم يرد فيها أدنى صيغة من هذه المادة ، بمعنى الحمي والصهر . لأن المستعمل فيها هو « مَرعَاوي » : صهر ، عريس . ومؤنثه « مَرعَات » : عروس (Dil 310) و « حَمْ » بمدلول الحمي (Dil. 77) .

٨) كل هذا يدلك على ان المادة هذه قد بدأت في العربية وحدها ، وتوسّعت ، بطريق التطوّر التام المنطقي ، من الثنائي « خَتْ » الى آخر المعاني لفعل « ختن » ومشتقاته . وتماثلها الاكدية في ذلك بعض المماثلة . أما العبرية ـ ولا سيما السريانية ـ فالتطوّر فيهما ناقص . اذ لا فعل مجرد فيهما يدل على الختان .

٩) ولمعترض ان يقول : اية مناسبة بين « الختان » وبين رابطة القرابة الأهلية بين الأسر ؟ الجواب على هذا هو ان التأريخ يفيدنا كثيراً في شأنه . لأنه يعلمنا ان « الختان » كان عند أغلب قدماء الشعوب من الشروط الضرورية لدخول

المرء في الحياة الاجتماعية ، ومن الأمور الممهّدة للحياة الزوجية . فكان يجري قبل الزواج ، وكان الأب ، او رب البيت يقوم بهذا العمل . وشاهد ذلك عمل ابراهيم الذي ختن هو ذاته ابنه اسماعيل ومن كان في بيته .

١٠) وكان من حقوق الأب الاشتراط على من تخطب ابنته ان يختتن قبل زواجه . ولما كان الأب هو الخاتن ، او الملزم بختان صهره ، دعي في العبرية والعربية « ختناً » او قل « خاتناً » .

١١) واذ كان خاطب بنت الرجل او صهره ملتزماً ان يكون مختوناً قبل زواجه ، سُمّي هو أيضاً في العربية والعبرية (وفي هذا وافقتهما السريانية) ، وفي الاكدية باسم « الختَن » بمعنى « الختين او المختون » .

١٢) ومن يعرف العبرية ويطالع الكتاب المقدس ، يجد التأييد لما بسطناه في كثير من المواطن . من ذلك ورود Hatan (خ) في النص العبري ، بمعنى « الحمي » في الآيات التالية : خر ٣ : ١ ؛ ١٤ : ١٨ ؛ ١٨ : ١ - ٥ . قضاة ١ : ٦ ؛ ٤ : ١١ - وجاءت كلمة Hôtan (خ) بدلالة الصهر ، في هذه الآيات الأخر : تك ١٩ : ١٢ ؛ خر ٤ : ٢٥ ؛ قضاة ١٥ : ٦ ؛ ١٩ : ٥ ؛ اصمو ١٨ : ١٨ ؛ ١٢ : ١٤ .

١٣) ومن باب التوسع ، شمل اسم « الختَن » غير افراد من العائلة ، كالعم والأخ ، لا بل ان جميع أقارب المرأة يدعون « أختاناً » بالنسبة الى الصهر ، أو زوج بنت الرجل .

فأين من كل هذه الحقائق ما ورد في « رسالة الألفاظ السريانية » من أن « ختَنَ » حرف سرياني Hatnô (ح) ؟ ومرادها بذلك انه دخيل في العربية من السريانية .

راجع المصادر الآتية :

Hastings , dic. of the Bible I , 442 s
Vigouroux , dic. de la Bible , Vol. II , c. 772 s.s
J. - A Barton , A Ketch of semitic origins , p. 98 s. s.
Robonson Smith ‘ Religion of Semites 2 ed p. 175
Wellhausen , Reste arabischen Heidentums , 2 ed p 175

ج) الحواريون (م – ج ٢٣ ص ٤٨٨ ي)

هذه الكلمة ـ قرآنية كانت أم غير قرآنية ـ ليست بمشتقة من « حور » الدال على البياض ؛ ولا تطلق على قوم كانوا قصارين ، أو ملوكاً ، أو أنقياء القلوب ، او أنصاراً ، أو صحابة ؛ ولا هي آتية من كلمة Héwâré (ح) السريانية . لأن هذه وصف استغني به عن الموصوف (وهو Lbûshé البسة) فقـام مقامه دالاً على الثياب التي كان يلبسها المعمدون الجدد ؛ ومن ثم لا مسوغ لترجمتها بكلمة « الحواريين » . كما لا يجوز أيضاً ترجمة Shabtâ d'héwâré «باسبوع الرسل» ، كما ورد في طقس الموارنة . لكن الترجمة الصحيحة هي « اسبوع البيض » . كل هذا لأن مفردة « الحواريين » حبشية ، وهي Hawâreya (ح) جمعها Hawâreyât (ح) ، ومعناهـا « رسول جمعها رسل » وبنوع خاص « رسل المسيح » .

هذا ما كنا قد بسطناه وشرحناه شرحاً وافياً في كتابنا « المعجمية العربية » (ص ٢١ – ٣٥) . أما كيفية اشتقاق الكلمة في الحبشية ، فدونك ما اوردناه في مجلة « الأديب » البيروتية (آذار ١٩٤٤) ، في تضاعيف ردنا على الأب الكرملي والشيخ العلايلي : « ان الثنائي « حَرْ » هو اصل لفظ « الحواري » . وهذه المادة واردة في اللغات الثلاث ، العربية ، والسريانية ، والحبشية . بيد ان هذا المعنى الأصلي لم يتطوَّر على سياق واحد في كل هذه الألسن . ففي الحبشية نرى « حَرْ » أو حَار » يبدأ بمعنى الحركة ، ويسير بفحوى الذهاب ، ويتابع سيره بدلالة السفَر . فيصاغ منه اسم فاعل حسب القواعد الحبشية عينها . اي على وزن « فعالي » بمدلول مسافر . وهناك في هذا الوزن ازدان بمفهوم حديث . فمن مسافر بنوع عام ، أضحى مسافراً بنوع خاص ، اي مبعوثاً ؛ ومن مبعوث ، أصبح مبعوثاً ممتازاً ، أعني سفيراً . ثم جاءت اللغة الدينية النصرانية . فاتصف

فيها باصطلاح جديد ، وهو اصطلاح الرسالة الروحية من قبل المسيح لتلاميذه الاثني عشر . فأطلق عليهم لسبب هذه الرسالة ، فأضحى « حواري » دالاً على « رسول المسيح » و « حواريات » جمعه ، على « رسل المسيح » .

أما في العربية فقد سار الحرف « حَرْ أو حار » بمدلول الحركة ، ثم الذهاب ، ثم الرجوع ، ثم التحول الى النقصان . ووقف عند باب « سافر ومسافر » ولم يلجه ، وبأولى حجة لم يتعدّه الى المعاني الأخر . فانقطع التطور ، أو اتخذ وجهةً مختلفة . كذلك في السريانية ، من « حَرْ » جاء « حار » بمعنى توجّه ، توقّع ، قصد . وانقطع السير عند هذا الحدّ . اذاً مفردة « حواري » بمعنى : « رسول » من باب الاطلاق ، و « رسول المسيح » من باب التقييد ، لا يمكن ان تكون الا حبشية . لأن الرس « حَرْ » سار فيها وحدها ، خلافاً للعربية والسريانية ، سيراً متتابعاً ، غير منقطع ، في سبيل التطوّر ، حتى بلغ مدلول « رسول المسيح » . فاذا وجدنا « حواري » في العربية ، فلا محالة انها دخيلة فيها من الحبشية .

هنا نلاحظ انه ، ان وجد المؤلف في رأي نولدكي « اصابة وجودة » ، فلا مندوحة بعد للقول ، في الوقت عينه ، ان اللفظة معربة عن Hêwârê (ح) السريانية . ثم نضيف الى ذلك ان نولدكي ليس أول من قال بحبشية « الحواري » . فقد سبقه الى هذا الرأي ستَسيم (Sémitisant) الماني آخر ، كما أقر بذلك نولدكي عينه . وهذا السابق هو Ludolf المولود سنة ١٦٢٤ ، والمتوفى سنة ١٧٠٤ . وكان مُسْتَحْبِشاً (éthiopisant) اختصاصياً بارعاً . وكان يعرف خمساً وعشرين لغة .

(راجع Larousse du xxe siècle , Vol , IV , P. 545
وكتاب نولدكي المعنون Neue Beitrage Zur semitischen sprach -
Wissenschaft, P.48, اي « اضافات جديدة الى دروس الألسنية السامية »

* * *

ح) لَبَّيك

(م – ج ٢٥ ص ٨)

هذه المفردة ليست من السريانية ، بل بالعكس الظاهر انها هي عينها دخيلة في السريانية من العربية . وقد كانت مستعملة في عصور الجاهلية ، وبقيت في الاسلام ، وما زالت كثيرة الورود في الكلام الفصيح ، وفي اللهجات المختلفة ، ولا سيما في اللهجات الجنوبية . ولتوغلها في القدم ، ومن ثم لغموض معناها ، قد اختلف اللغويون في اشتقاق أصلها واعرابها .

زبدة آرائهم هي انها مشتقة من « لب في المكان وألب » : أقام به ولزمه . والقول « لبّيك ولبّيه » ناجم عن ذلك ، اي لزوماً لطاعته . قال الخليـل : هو من قولهم : دار فلان تلب داري ، اي تحاذيها . والياء للتثنية ، وفيها دليل النصب للمصدر . وقال سيبويه : انتصب « لبَّيك » على الفعل ، كما انتصب سبحانَ الله . وقد ثنّي على التوكيد ، أي إلباباً بك بعد الباب ، واقامة بعد اقامة . وزعم يونس ان « لبّيك » اسم مفرد بمنزلة عليك . ولكنه جاء في هذا اللفظ على حد الاضافة . (اللسان ٢ ـ ٢٢٦ ي ؛ سيبويه ١ ـ ١٤٧ ي) .

وهذه أمثلة على ورود « لبيك » في الجاهلية والاسلام :

« أتت الجارية الوادي ، فصرخت به . فسمع صوتها . فقال مجيباً لهـا لبيكِ ، قريباً دعوت » . (ديوان حاتم طي ، طبعة Schultess ص ٣٩) .

قال أمية بن ابي الصلت : « لبّيكما ، لبّيكما » ها انا ذا لديكما (اي ملاكي الموت)

(شعراء النصرانية ص ٢٢٥)

« اذ كانوا على مسيرة يوم من تهامة ، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الاسدي . فقال : يا عباد . قالوا : لبّيك ربنا . » (ابن قتيبة ص ٣٧)

« فنادي الرسول : يا كعب . قال : لبّيك ، يارسول الله » .

(بخاري ٢ ص ٩٥)

« قال : بينا انا رديف النبي ... فقال : يا معاذ . قلت : لبّيك رسول الله ، وسعديك » (بخاري ٧ ص ١٧٠) ـ لبّى : قال : لبّيك . في صدر الاسلام ، كان يلبّي الملبّي ـ كانوا يلبّون بالحج . (باب التلبية ، بخاري ٢ : ٢٠ ، ٤٨ ، ١٣٧) كانت تلبية النبي : « لبيك ، اللهم ، لبيك ، لا شريك لك ، لبيك » .

نظرة في أصل اشتقاقها :

اذا تقصينا أصل هذه الكلمة الغامضة المعنى والاشتقاق ، رأينا انها قديمة جداً ، ودالة على ما كان الساميّون يجرونه من الأعمال في غضون عبادتهم للقمر . والى اليوم هذه المفردة متداولة على الألسن في جنوب بلاد العرب . وليس الفعل « لبّى » مرتجلاً ، كما في الفصحى ، من لفظة « لبيك » ، بل هو اصلي ، ومراد به : « ساعد ، اعان ، اغاث » . على اننا نعلم من الناحية الأخرى ان قدماء العرب كانوا يعتقدون ان القمر ، في الليالي الأخيرة من الشهر ، يقع في ضيقة ، لشدة الضغط النازل عليه من قبل « تهامة » اي البحر . وهي الكلمة الاكدية التى استقرضها العرب ، ولا سيما عرب الجنوب ، عند أخذهم عبادة القمر عن الاكديين ـ البابليين . كما ان هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة Tehôm فكان العرب يصرخون ، إذ ذاك : لبّيك ، لبّيك » موجهين الكلام الى القمر ، كأنهم يقولون له : ساعدك ، او أغاثك ، او فليساعدك ويغثك الآله مردوخ ، منجياً اياك من « تهامة » . ولنا دليل في ان « لبّيك » يراد بها الاغاثة والمساعدة ، ان هذه الكلمة يتبعها لفظة أخرى وهي « سَعْدَيك » . فقد أشار سيبويه الى ذلك بقوله : (الكتاب ١ : ١٤٨ طبعة باريس) : « حدثني ابوالخطاب انه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا . وقد اسعد فلان فلاناً على أمر وساعده . والإلباب : المساعدة » . وكما ورد اعلاه عن البخاري ، في جواب معاذ للنبي : « لبّيك ، رسول الله ، وسَعْدَيك » .

ولنا شاهد آخر في فعل «أهلّ ، واستهلّ» اي رفع صوته . فيقال : استهل الصبي بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة . وكل شيء ارتفع صوته ، فقد استهلّ ، والاهلال في الحجّ : رفع الصوت بالتلبية . وأهلّ المعتمر : اذا رفع صوته بالتلبية . وانما قيل للاحرام اهلال ، لرفع المحرم صوته بالتلبية . الهلال : اسم القمر لليلتين من أول الشهر ، ولليلتين من آخره . وأهلّ واستهلّ الشهر : ظهر هلاله . وسمّي هلالاً ، لأن الناس يرفعون أصواتهم بالاخبار عنه » . (اللسان ١٤ : ٣٢٧ ي ي) .

كل هذا ، كما قلنا اعلاه ، لأن القوم يدعون للقمر بالنجاة من تهامة ، فكانوا يصرخون ، كما تصرخ النساء في عصرنا ، في الأعراس والولائم بالزغاريد ، أي بترديد اللسان في الفم ، فيصدر عن ذلك اسم الصوت « هَلْ هَلْ » ولهذا تدعى الزغاريد في العراق « هَلاهِل جمع هَلهُولَة » ومن هذا الصوت صيغت الأفعال « هَلّ ، وأهلّ ، واستهلّ » وقد استمرت هذه العادة القديمة بين عامتنا الجهلة في فرصة كسوف القمر ، لاعتقادهم الخرافي أن حوتاً يبتلعه ، فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأواني النحاسية كالقدور والصواني وغيرها ، تهويلاً لهذا الحوت المزعوم ، فيضطر الى قذف القمر المسكين من فيه ، وبذلك يزول الكسوف ، على ظنهم ، ظن الغباوة .

وهذه العادة عادة التلبية ، او الاغاثة للقمر ، التي كانت من فروض العبادة في العالم القديم ، قد بقيت في مواسم الجاهلية العربية ، ثم تطورت دلالتها ، فأخذت تطلق على الاجابة ، والطاعة ، والتهليل ، والتسبيح ، والتعظيم .

أما الصيغة فيمكن القول بانها ليست من باب التثنية والنصب ، كما هو الرأي السائد ، بل هي ضرب من اللفظ القديم « بالامالة » على مثال الوارد في اللهجات ، مثلاً : « ناديه ، توفيه ، استهويه ، صريط ، مشكية ، كيفرين » المقابلة للفصيح « ناداه ، توفّاه ، استهواه ، صراط ، مشكاة ، كافرين » . وعلى تعاقب الأزمان ،

ثبت في اللغة الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة ، كقولك : « رماه ، وقاها ، دعاك » وهكذا تكون « لَبَّيك وسَعْدَيك » من الآثار اللغوية القديمة التي بقيت في اللغة ، وتقابل « لبَّاك وأَسْعَدَك » والله أعلم . (راجع كتاب « دثينة » ، القسم الثاني ، ص ٢٧١ ي ي ، للمستعرب de Landberg الذي دعمنا رأينا بشيء من شواهده) .

* * *

خ) بابوس (م – ج ٢٣ ص ٣٢١)

هذه اللفظة واردة في العربية والسريانية على وزن « فاعول » . ودلالتها تكاد تكون واحدة في كلتيهما . فمعناها : « طفل ، صبي ، رضيع ، وزادت العربية : ولد الناقة ، او الرضيع من أي نوع كان » . فهل الكلمة سريانية ام عربية ؟ في نظرنا هي من السريانية . وقد أصاب « مؤلف الرسالة » في ذهابه الى سريانيتها ، وانكاره روميتها ، أو عربيتها ، خلافاً لمزاعم الأقدمين .

لكن مما يستغرب ان صاحب هذا الرأي – وهو ابن بجدتها وفارس حلبتها – لم يعلل صوابية القول بسريانية الكلمة . أما نحن فندعم مذهبنا القائل بسريانية « البابوس » بما يعرفه كل ملمّ باللغة السريانية ، فضلاً عن القابضين على أعنة أسرارها ، من الوارد في كتب « القَواعِدِيّة » السريانية (Grammaire Syriaque) ، في باب التصغير . ولذا نقول ان أصل « بَابُوس » هو « باب ، أو بابا » من المادة العبرية Nâbab : قعّر ، جوّف . (Bw 612) . ومفهوم « باب » : منفذ . وهو الثقب الدقيق الواقع في وسط العين . والذي فيه يرى الناظر صورة « انسان صغير » . ولهذا سمّي « انسان العين ، او البؤبؤ ، او البيبي » في العربية . و « باب او بابا » في السريانية ، كما يدعى أيضاً Pupille في الفرنسية ، و Pupil في الانكليزية .

على ان من ادوات التصغير في السريانية ، أولاً : الأداة « أونا » تلحق

آخر الاسم . فيقال من « باب » « بابونا » : طُفَيل . وهناك اداة أخرى تستعمل للتصغير كالأولى ، وهي « أوسَا » . فيقال من « كلبا » ، كلبٌ ، « كلبُوسَا » كُلَيبٌ . ومن « باب » ، « بَابُوسَا » ، طُفَيل ، ولُبَيد . ويجوز جمع الأداتين معاً ـ وان كان ذلك غير مانوس ـ فيرد من « أحا » ، أخ ، « أحوسُونا » أُخَيّ . ومن « باب » ، « بَابُوسُونَا » : صُبَيّ . كما يقال من « طَليَا ، طَليُونا ، طَليُوسَا ، طَليُوسُونا » : طُفَيل .

ومن هنا يستدل على ان اللفظة « بابوس » سريانية محضة . لأنها على صيغة التصغير في السريانية ، ولأن السين المسبوقة بضمة مشبعة هي الأداة المستخدمة لهذه الغاية . وكل هذا لا أثر له البتة في العربية . فالمفردة اذاً دخيلة فيها من السريانية . ومن هذا أيضاً يبين سقم زعم صاحب « محيط المحيط » المدعي ان الكلمة « فارسية الأصل » .

(راجع Clef de la langue araméenne , Par Mingana , p 111
(محيط المحيط) ١ — ٥٩ ; P - S. C . 442 s ; Ges . 840 s ;

* * *

د) عَرْش
(م — ج ٢٤ ص ٣٢٤)

ان كلمة « عَرْش » ليست واردة في السريانية ، والعبرية ، والعربية فقط — وذلك حسبما وجدها المؤلف في معجم « برون » السرياني ، بل هي سامية ، ولها ذكر ، بمعزل عن الألسن المسفورة ، في الحبشية « عَرَسْ » : خيمة (Dil 960) ، وفي الاكدية Irshu (أصلها عِرْشُو) : سرير ، مضجع (Bz 71) ، وفي العبرية الحديثة « عَرِيشا » مهد . وفي التلمود « عَرْسَه » : منام . وفي التدمرية « عَرْسَا » (Br 549 ; Bw 793) .

أما العربيـة فقد جاء فيها « عَرْش وعريش » . والمعنى الأصلي البدائي مستقصى فيها دون غيرها ، لاحتوائها على « الرس الثنائي » المشتقة منـه اشتقاقاً طبيعياً ، منطقياً ، كل المعاني المتشعّبة . وهذا الثنائي هو « عَشْ » الدال على

الضمور والدقة واليبس . من ذلك «عشّ» بدنه : نحل وضمر . و ـ النخلة : قلّ سعفها ودق أسفلها . و «عشّش الكلأُ والأرضُ يبسا ؛ و ـ الخبزُ : تكرّج ويبس . وعَشّ الطائرُ : اتخذ عشّاً . والعُشّ موضع الطائر يجمعه من دقائق الحطب في أفنان الشجر (اللسان ٨ — ٢٠٦ ي) .

توسعت فكرة الدقة واليبوسة باقحام الراء في الثنائي «عَشْ» فأصبح «عَرَش» (تاج ٤ ـ ٣٢١ ي) اول معاني «عَرش» : رفع دوالي الكرم على الخشب ، وفي الخشب دلالة اليبوسة والصلابة ؛ و ـ بنى بناءً من خشب ، و ـ الدوالي : ارتفعت على الخشب . وعرش الطائرُ : ارتفع وظلّل بجناحيه مَن تحته . وعَرّش البيتَ : سقفه . ومن «عرش» اشتق العريش . وهو ما عرّش للكرم . و ـ شبه الخيمة من خشب وثمام . و ـ البيت يستظل فيه . و ـ الهودج . ومنه أيضاً «العَرْش» : سقف البيت ، او الخيمة ، او بيت من جريد يجعل فوقه الثمام . والعَرش : المظلة ، وأكثر ما يكون من القصب . وعرش الطائر : عشّه . ومنه أيضاً «العَرش» : سرير الملك . ومجازاً : العز . (اللسان ٨ : ٢٠٢ ي ي) .

ومن ذلك ورد في بقية اللغات السامية «العَرْش» بمعنى السرير ، والمنام ، والمنصة ، والنعش ، والمهد . وفي جميعها فكرة الصلابة المتصف بها الخشب ، او فكرة الشيء المصنوع من خشب ، او فكرة المرتفع على الخشب ، كالمظلة ، والخيمة ، والسرير ، والمنصة المرتفعة ، وأخيراً : السموّ والعزّ . وأنت ترى نقص المقابلة بين لغتين وحدهما ، وفائدة الثنائية والمقارنة الألسنية ، اي بين سائر الألسن السامية . وبهذا فقط يمكن تتبّع التطوّر المعنوي ، في مختلف صور المادة الساميّة الأصل . وفي خلال كل هذه الأبحاث يتجلّى تفوق العربية على اخواتها . نكتفي الآن بهذه النماذج التي بسطناها للقراء الكرام ، ليعرفوا كيفيّة بحثنا ونقدنا لتأصيل الألفاظ المجموعة في مقالتنا الضافية ، والسلام .

(القدس) الأب مرمرجي الدومنكي

البلاغة بين اللفظ والمعنى

— ٥ —

كتاب المثل السائر

«لضياء الدين أبي الفتح نصر الله المسمى بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ»

يرى ابن الأثير أن علم البيان أشمل معنى من كل من الفصاحة والبلاغة فيعرف موضوعه بأنه «هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية» ثم يميزه من علم النحو فيقول: «وهو ـ أي البيان ـ والنحو يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب» ويرى أن علم النحو واللغة لا يكفي لتذوق مواطن الحسن في الكلام الجميل فيقول: «ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة .

يفهم من هذا أن البيان شامل للفصاحة والبلاغة وأنهما لا تتداخلان وأنهما تعنيان باللفظ والمعنى ولكن ابن الأثير أثناء حديثه (ص ٨٦) عمّا يحتاج اليه صاحب الصناعة يجعل معنى البلاغة شاملاً للفصاحة ويحدد معنى كل منهما بالمعنى الشائع في كتب البلاغة المتدارسة اليوم فهو يقول: «يحتاج صاحب الصناعة في تأليفه الى ثلاثة أشياء: الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة ، وحكم ذلك

حكم اللآلئ المبددة فإنها تخير وتنتقى قبل النظم . الثاني : نظم كل كلمة مع أختها في المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقاً نافراً عن مواضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة بأختها المشاكلة لها . الثالث : الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارةً يجعل إكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارةً يجعل شنْفاً في الأذن ، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لا بدَّ للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر . فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هو المراد بالفصاحة ، والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة » ويوجَّه الى مفهوم البلاغة باعتبارها الجمال في الكلام نفس الانتقادات التي وجهت الى مفهوم عبد القاهر الجرجاني لها وليس ابن الأثير إلا واحداً من أولئك الذين أصبحوا إذا درسوا البلاغة يدرسونها على غرار السكاكي الذي ليس الا تلميذاً لعبد القاهر وهو الذي جمّد البلاغة في شكلها الحالي .

واذا كان موضوع الفصاحة والبلاغة هو الألفاظ والمعاني فلنحاول أخذ فكرة عن مفهوم وقيمة كل منها عنده . أما المعاني فهو لا يرى الناس يتفاوتون بها كثيراً بل كثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الاتيان بالمعاني . (المثل السائر ص ١٨) إلا أنه ينصح المتصدي للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم فانه لا يعدم مما يسمعه منهم حكماً كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه . ثم لا يلبث أن يولي المعنى شأناً أكبر (ص ١١٨) فيقول إن من شروط حسن السجع ان يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ ؛ ثم يعظم شأن المعاني أكثر (ص ١٩٣) فيرى أن تناولها ليس بالأمر السهل ، وأن إبرازها في صور جميلة من عمل الأفذاذ ، وأنها ليست مما يتعلم عن الأستاذ ثم يقول : « وليست المعاني فيه إلا كالأرواح ولا الألفاظ

إلا كالأجسام فمن شاء أن يخلق خلقاً من الكلام فليأت به على صورة الأناسيِّ لا على صورة الأنعام فان من القول الفانيةُ التي هي أحسنُ من الفانية ومنه البهيمة التي لا تشبه الا بالسانية » ويضرب مثلاً حسناً على المعنى الجيد هذا البيت :

« أبعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق »

والأبيات التي قبله . ويستحسن المعاني الطريفة المستجدَّة ولكنه لا يبين الدرجة التي تحتلها في علم البلاغة بالنسبة الى اللفظ وينعي (ص ٢١١) على من يجعلون همَّهم مقصوراً على الألفاظ ثم يقول (٢١٢) إن المعاني أكرم على العرب من الألفاظ وانما أولت هذه اهتماماً عظيماً لأنها عنوان معانيها وليكون ذلك أوقع لها في النفس وأدلَّ على القصد . ويذكر أن الكلام إذا كان مسجوعاً لذَّ سامعه لحفظه وأن كثيراً من المعاني الفاخرة يشوهها بذاذة لفظها ويورد أبيات : « ولما قضينا من منى كل حاجة الخ » التي وردت أكثر من مرة ويقول على عكس ابن قتيبة إن وراءها معنى كبيراً ويحمل على من قال أن ليس بها كبير معنى ونراه (ص ٢٩٧) يعد الإيجاز عملية تتعلق بالمعاني لا بالألفاظ .

نتبين من حديثه عن المعاني أنه يعدها عنصراً هامًّا في البلاغة إلى جانب عنصر اللفظ . وأما اللفظ فهو يشترط فيه ليكون فصيحاً (ص ٤٥) أن يكون ظاهراً بيناً بشرط أن يكون حسناً مألوف الاستعمال وهو يرى أنه لا يكون مألوفاً إلا لأنه حسن وهذه نظرة جيدة في نقد الألفاظ . والألفاظ عنده داخلة في حيز الأصوات ، فالذي يستلذه السمع ويميل اليه هو الحسن ، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح وكذلك يرغب أن لا يكون اللفظ مخلولقاً بكثرة الاستعمال ولا غريباً فان ذلك عيب فاحش .

ويتكلم بعد ذلك (ص ٨٧) عن ضرورة وضع الكلام مواضعه فإن لفظتين قد تتساويان معنى ووزناً وعدةَ حروفٍ ، وكلتاهما حسنة في الاستعمال ولكن

يفرق بينهما في مواضع السبك ويضرب أمثلة للكلمات المترادفة من هذا القبيل من القرآن الكريم ومن الشعر .

وينعي (ص ٩٠) على من يجعل الألفاظ كلها متساوية في الحسن من حيث الوضع لأن الواضع لم يضعها الا كذلك (هل يقصد عبد القاهر ؟) ويقول إن التفريق بينها يكون بادراك اللذة في السمع ثم يحسن في الكلام على موسيقى الألفاظ (ص ٩١) فيقول : « ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتاً منكراً كصوت حمار وأن لها في الفم أيضاً حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم » ثم يقول : « ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ واختيارها فإنه معذور في أن يقول ما قال » .

ويتحدث (ص ١٠٠) عن ضرورة ملاءمة الكلمات للمواضيع وعن صفات الكلمة البليغة ، ثم يشخص الألفاظ تشخيصاً يدل على أن له خيالاً أدبياً خصباً فيقول : (ص ١٠٦) : « فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج ولهذا ترى ألفاظ ابي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى الفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي .

فالألفاظ عند ابن الأثير لا تقل شأناً إذن عن المعاني فهو لا يرجح واحدة على الأخرى وإذ تقرر هذا فلننتقل الى رأيه في السبك وهل هو سبك في الألفاظ كما يرى الجاحظ أم سبك في المعاني كما يرى عبد القاهر .

يتحدث ابن الأثير عن السبك ص ٤٢ فيقول ان الغموض ينتج من التراكيب لأن الألفاظ في حد نفسها قد تكون فصيحة ويكون المعنى مغمضاً مثل بيت ابي تمام:

« ولهت فأظلم كل شيء دونها وأضاء منها كل شيء مظلم »

ويقول (ص ٤٥) « بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً غريباً يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس وهي مما في أيدي الناس وهناك معترك الفصاحة التي تظهر فيها الخواطر براعتها والأقلام شجاعتها ويستشهد على صعوبة سبك الألفاظ بقول المبرّد (ابن الأثير ، المثل السائر ص ٤٥) : « فأنا إمام الناس في زماني هذا وإذا عرضت لي حاجة الى بعض إخواني وأردت أن أكتب اليه شيئاً في أمرها أحجم عن ذلك لأني أرتّب المعنى في نفسي ثم أحاول أن أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك » ويقرر (ص ٤٥) أن الناس مشتركون في استخراج المعاني ولكن الصعوبة في نظم الألفاظ ثم يذكر (ص ٨٨) أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها ويبرهن على ذلك بأن الفاظ القرآن الكريم كانت معروفة قبل وبعد نزوله ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ثم يضرب المثل بآية : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك » ويقول إنه لم يعرض لها الحسن إلا لمزية في تركيب الفاظها ويبرهن على رأيه بأن لفظة منها لو أخذت من مكانها الى مكان آخر لتغير حسنها وأن اللفظة تروق في مكان دون آخر ثم ضرب مثلاً بكلمة تؤذي في قوله تعالى : « ان ذلك كان يؤذي النبي » ويطري جمالها ثم يذم نفس اللفظ في قول المتنبي :

« تلذّ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام »

وقال إن كراهتها جاءتها هنا من وجودها في آخر الجملة ولذلك حسنت في قول جبريل للنبي « بسم الله أقيك من كل داء يؤذيك » لاتصال كاف الخطاب بها ، ويقول ابن الأثير : ولهذا تزاد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى : « فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه » .

واخيراً يتحدث (ص ٢٧٥) عن خطر النظم في الدلالة على المعنى فيقول في بحث التقديم والتأخير : « الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ولو قدم المتأخر او اخر المقدم لتغير المعنى ... »

ونرى مما تقدم ان لتأليف الكلام عند ابن الأثير اهمية . وتأليف الكلام عنده تأليف في الألفاظ والأرجح أنها عنده تأليف في الألفـاظ من حيث دلالتها على المعاني وعلى كل حال فهو لم ينظر الى مسألة التأليف هذه بعمق وحذق كما نظر اليها عبد القاهر ، وجعل التأليف قائماً على الألفاظ بدون ان يبين صلة المعاني بها ، وهذا نقص ظاهر ، فكأنه لم يفد شيئاً من نظريَّة عبد القاهر الجرجاني او لم يطلع عليها بالمرّة فلم نره انتقدها في جملتها ولا عرض لها بمدح او ذم .

* * *

الطراز

« ليحيي العلوي اليمني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ »

ليس في كتاب الطراز ماله كبير الفائدة في بحثنا برغم انه كتاب قـيّم في البلاغة وفي إعجاز القرآن ، بل لعله من اكثر الكتب قيمة في هذين الموضوعين ، ولكنه لم يتحدث كثيراً عن مسألة البلاغة بين اللفظ والمعنى وكان بحثه سطحياً .

وكان شأنه في تعريف البلاغة والفصاحة شأن ابن الأثير فقد جعل الفصاحة راجعة الى الألفاظ ، والبلاغة راجعة الى المعاني (ص ٢١٤ ج ٢ من الطراز) في حديثه عن بلاغة القرآن ثم قال القرآن فصيح سواء أقلنا هذا او قلنا انهما شيء واحد يقعان على فائدة واحدة فكل كلام فصيح فهو بليغ وكل بليغ من الكلام فهو فصيح ثم قال (ص ٢٤٥ ج ٣) « الكلام البليغ لا يكون بليغاً إلا مع احرازه الفصاحة فهي في الحقيقة راجعة الى المعنى واللفظ معاً » فكانت البلاغة هنا ليست قسيمة الفصاحة ولكنها تشملها . ويظهر أنه هو الرأي المعتمد عنده لأنه (ص ١٢٠ ج من الطراز) يتحدث عن مراعاة المحاسن المتعلقة بمركبات الألفاظ فيورد نفس الأمور الثلاثة التي ذكر ابن الأثير أن صاحب الصناعة يحتاجها (كتاب المثل السائر ابن الأثير ص ٨٦) وبنفس التعبير وتتلخص كما يلي :

١ً – اختيار الكلم المفردة . ٢ً – نظم كل كلمة مع ما يشاكلها أو يماثلها . ٣ً – مطابقة الغرض المقصود من الكلام ويقول إن الأمرين الأول والثاني يتعلقان بالفصاحة لأنهما من عوارض الألفاظ ومجموع الثلاثة كلها هو المراد بالبلاغة لأنها من عوارض الألفاظ والمعاني جميعاً ؛ وهي نفس رأي ابن الاثير ثم يقدم للبلاغة تعريفين آخرين (ص ١٣٢ ج ١ الطراز) الأول هو : « البلاغة الوصول الى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة وان شئت قلت هو عبارة عن حسن السبك مع جودة المعاني » والثاني يبين فيه غرض البلاغة فيقول « والمقصود من البلاغة هو وصول الانسان بعبارته الى كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل بالمعاني وعن الاطالة المملّة للخواطر » ويبين (ص ١١٥) حدّ الفصاحة فيقول إن في حدّها أقوالاً أربعة : الأول : أنها ترجع الى الألفاظ باعتبار أصواتها في السمع ، والثاني : أنها ترجع الى مدلولات الألفاظ أي الى المعاني لا الى الأصوات ، والثالث : أنها ترجع الى الألفاظ باعتبار أن لها مدلولات على جهة التبعية ، والرابع : أنها ترجع الى الألفاظ والمعاني معاً .

ونحن لا يهمنا من هذا إلا أن نبيّن أن تعريفه للبلاغة بمعناها الأشمل وهو أن موضوعها الألفاظ والمعاني مما يوجّه اليه نفس الانتقادات التي وجهت للتعاريف السابقة التي تساويه . ثم ننتقل من هذا الى بيان أهمية اللفظ والمعنى عند صاحب الطراز وعلاقة كل منهما بالآخر ودرجة اشتراكه في تكوين البلاغة .

يتحدث عن الألفاظ (ص ١٥٠ ج ٢) فيقرر أنها تابعة للمعاني خلافاً لمن يقول إن المعاني تابعة للألفاظ وينكر عليهم هذا القول الذي رسخ عندهم لأنهم رأوا المعاني لا يرسخ معقولها في الأفئدة إلا بعد أن تخرق الألفاظ قراطيس أسماعهم ، وينقض أقوالهم بثلاثة أدلة لا داعي لذكرها ، ويبين علاقة اللفظ بالمعنى من حيث التعبير فيقول : ان قوة اللفظ تفيد قوة في المعنى وإذا نقل اللفظ الى صيغة أقوى منها حروفاً يقوى المعنى لأجل زيادة اللفظ وإلا كانت زيادة الحروف

لغواً لا فائدة وراءها ثم يتحدث عن منزلة المعنى من اللفظ (ص ٢٣٥) فيقول إنها منزلة الروح من الجسد فكل لفظ لا معنى له فهو بمنزلة جسد لا روح فيه ويتكلم (ص ١٦٦ ج ٢) عن تأليف الكلام فيقول : « فالبلاغة إنما تحصل بتأليف الكلام ونظمه وإعطائه ما يستحقه من الإعراب وإعمال العوامل وتوخي جميع معاني النحو (ولا يعني بالنحو معناه الواسع الذي يعطيه له عبد القاهر الجرجاني) ومجاريه التي يستحقها . وبيانُ ذلك هو أن وضع الكلم المفردة بالاضافة الى واضع اللغة لا تغيير فيها والتصرف لأهل البلاغة إنما هو في التأليف . ألا ترى ان أفراد قولنا (الحمد لله رب العالمين) مقولة على ألسنة الناس والإعجاز إنما كان من أجل نظمها وتأليفها بحيث كان الحمد مبتدأً ولله متأخراً عنه خبره .... فإذن حال أنفس الكلم مع المؤلف كحال الأبريسم مع ناسج الديباج ، والذهب مع صائغ التاج فحظه من ذلك إنما هو تأليفها ونظمها لا غير » وهنا يلاحظ أنه يريد أن يجاري عبد القاهر ولكنه يقصر الجمال على النحو والاعراب الذي حذر منه عبد القاهر ولم يراع ترتيب المعاني في النفس الذي يراعى لأجله الترتيب النحوي . ويتكلم (ص ٢٣٥ ج ٣) عن التراكيب فيقول إن اختلافها من حيث الصيغ وزيادة بعض الحروف وحذفها كما في أساليب التأكيد بإنَّ ولام التأكيد وفي التقديم والتأخير يسبِّبُ اختلافاً في المعاني من حيث القوة والضعف فيفيد بعضها معاني لا يفيدها الآخر . وصاحب الطراز بكل هذا لا يتعرض لمسألة النظم الأساسيَّة فيعيِّن أن يراعى فيه اللفظ أو يراعى فيه ترتيب المعاني في النفس أو كليهما معًا » . وطالما أنَّ البلاغة تعتمد على النظم فليس في وسعنا أن نعرف فيما إذا كان يميل الى جانب الألفاظ أو الى جانب المعاني لأنه يأخذ مرة هذا الجانب ومرة الآخر في غير قوه ووضوح .

* * *

« مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ »

يلخص ابن خلدون رأيه في البلاغة وصناعة الكلام في أسطر قليلة نتبيّنه من خلالها بوضوح فهو يقول (ص ٥٧٧ المقدمة ط بيروت) « إعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني وإنما المعاني تبع لها وهي أصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر وإنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب بكثرة استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ٠٠٠٠ ذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعته ، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج الى الصناعة وهو بمثابة القوالب للمعاني ٠٠٠٠٠٠ كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة من نفسها ٠٠٠٠ »

ويلاحظ على نصِّ ابن خلدون ما يلي :

١ً — لم يقدم تعريفاً للبلاغة يبين فيه بقية عناصرها وماهيتها بل لم يذكرها واستعمل عوضاً عنها لفظي « صناعة الكلام » ٠

٢ً — أنه يجعل البلاغة في الألفاظ بصورة أدق في تأليفها وقد رأينا أن هذا قاصر لا يكفي لايضاح البلاغة التي يراعى بها الألفاظ والمعاني وعناصر أخرى تكلمت عنها كثيراً في غير هذا الموضع ٠

٣ً — جعل المعاني تبعاً للألفاظ وهذا ما لا نوافقه عليه وقد أجاب عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بما فيه الكفاية ٠

٤ً — أن نظريته في أن ملكة الكلام تحصل بكثرة حفظ الكلام الجيد صحيحة ، ولكنها لا تؤيد نظريته في أن مدار البلاغة على اللفظ .

٥ً — قوله بأن المعاني متوفرة لكل انسان وهو نفس رأي الجاحظ خطأ وإلا تساوى الناس في العلم ، ولم يسمّ الشاعر شاعراً كما يقول ابن رشيق إلا لأنه يشعر بمعانٍ لا يشعر بها غيره .

٦ً — قوله : إن طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد هو موضع البلاغة لأن المعاني واحدة في نفسها ، لم يُراع فيه قوة إبراز المعاني وحسن التصوير فيها وأثرهما في البلاغة .

* * *

ونلاحظ بعد دراسة هذه الكتب جميعها أن تعريف البلاغة فيها جميعاً لم يكن يشمل أبداً ما نريد أن تشمله اليوم من عناصر باعتبارها الفن الذي يرسم القواعد الفنية للأديب ليحصل على الجمال في القول وقد بينت نقص تعريف كل واحد من المؤلفين في حينه أو نقص مفهومه الذي كان يكونه لنفسه عنها . ونلاحظ أيضاً أنهم انقسموا في مناصرة اللفظ أو المعنى فرقاً : فرقة كالجاحظ وابن خلدون تناصر اللفظ ، وفرقة كأبي عمرو الشيباني تناصر المعنى وفرقة تسوّي بينهما كقدامة وابن رشيق ، على أن هناك من يتردّد بين الأمرين كأبي هلال العسكري ونلاحظ أنّ أكثرهم بحثوا القضية بصورة سطحية والذي درسها بصورة عميقة جدّية هو عبد القاهر الجرجاني .

وكما أن مفهوم البلاغة عندهم قاصر عن المفهوم الذي يجب أن تأخذه ، كذلك نسي كثير منهم أن عماد التمييز في القول الجميل هو الذوق وحده وأنه يكتسب بكثرة المدارسة والمران كما يكون في سليقة الموهوبين من الناس وأشار الى ذلك بعضهم كابن رشيق وعبد القاهر .

* * *

المراجع

البيان والتبيين : للجاحظ القاهرة بإشراف محب الدين الخطيب ١٣٣٢ هـ
الحيوان : للجاحظ طبعة الساسي المغربي بمصر سنة ١٣٢٣ هـ المطبعة الحميدية
الشعر والشعراء : لابن قتيبة ط الخانجي القسطنطينية سنة ١٢٨٢
نقد النثر : لقدامة بن جعفر أو لتلميذه أبي عبد الله بن أيوب ط كلية الآداب دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١ هـ
نقد الشعر : لقدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب في القسطنطينية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٢ هـ
كتاب الصناعتين : لأبي هلال العسكري طبعة الآستانة : الجمالي والخانجي سنة ١٣٢٠ هـ
« العمدة : لابن رشيق الطبعة الأولى على نفقة النعساني سنة ١٣٢٥ هـ
دلائل الاعجاز : لعبد القاهر الجرجاني مطبعة المنار الطبعة الثانية سنة ١٣٣١ هـ
أسرار البلاغة : « « « دار المنار مصر الطبعة الثالثة سنة ١٣٥٨ هـ
المثل السائر : لابن الأثير ط بولاق القاهرة سنة ١٢٨٢ هـ
الطراز : ليحيى اليمني مطبعة المقتطف مصر سنة ١٣٣٢ هـ
المقدمة : لابن خلدون المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٨٨٦ م

نعيم الحمصي

استدراك

جاء في السطر الخامس من الصفحة ٣٥٨ : « وقالوا اللاَّبة تعريباً » . والصحيح ان لابَة ولُوبة (ج لابٌ ولابات ولُوْب) وردتا بمعنى الحَرَّة ، فيجوز استعمالها مقابل Lave أي الصخور الحاصلة من تصلب المواد التي قذفتها البراكين ، واستعمال الحُمَمَة مقابل Magma أي ما تقذفه البراكين من المواد المصهورة قبل أن تتصلب .

مصطفى الشهابي

التعريف والنقد

الدبلوماسية

ألفه مأمون الحموي

الدكتور في العلوم السياسية وفي التاريخ

طبع هذا الكتاب في دمشق سنة ١٩٤٧ . طبعاً متقناً على ورق صقيل . وهو يقع في ما يقرب من ثلاث مئة وخمسين صفحة .

ختم المؤلف كتابه بكلمة جاء فيها : « ... أكثر الكتب التي تعالج موضوع الدبلوماسية تكاد المعلومات التي تدلي بها في صدد بحث من الأبحاث تكون هي نفسها . ولذا يعسر على المؤلف في الدبلوماسية أن يأتي بشيء جديد يزيد على ما جمع في المؤلفات الضخمة في هذا الموضوع ، وأصبح العمل التأليفي فيه مقيداً وانحصر عمل المؤلف الشخصي في كيفية عرض المواد ، وايضاح ما غمض ، وتفصيل ما أجمل ، وا كمال ما نقص ، وادخال ما تجدد منها ، وابداء مطالعاته في النقاط التي لا تزال بحاجة للدراسة . »

وهذه كلمة متواضعة ، ولكنها كلمة حق ؛ فهذا الموضوع وأمثاله من الموضوعات - وهي كثيرة - يقوم جهد المؤلف فيها على حسن تنسيقها ، وجودة عرضها وأدائها . وقد وفّق المؤلف في عمله توفيقاً مشكوراً ، فزين خزائن الكتب العربية الشامية بموضوع كان في العهد الأخير غريباً عنها ، وكانت هي في حاجة اليه .

واذا كان الأستاذ الحموي قصر عمله في كتابه على : « عرض المواد » أحياناً عرض الناقل فرأى مع من يرى أن مدرسة « ماكيافلي » قد شاخت وانها لا تماشي روح هذا العصر . ونقد من يقول بغير ذلك . على حين ان السياسة اليوم اذا هي اختلفت عنها بالأمس فذاك أن الكذب والخداع والرذيلة والخيانة

كان شيئاً مستتراً فأصبح ظاهراً مفضوحاً ، فسياسة أوربه وأميركه سياسة « الأمير » لا تخشى عار الرذيلة ولا تؤمن بفضيلة بل تقوم على الكذب والخداع المفضوح ، وليس يؤمن بالفضيلة ويدعو لها الا الضعفاء البلهاء أمثالنا ـ نحن العرب ـ وما يوم فلسطين ببعيد . وصدق موسوليني اذ يقول : « ان عقيدة « ما كيافلي » هي اليوم حية اكثر منها منذ اربعة قرون » .

فقد كاد يكون أحياناً داعياً ونذيراً اذ يقول : « فعلى المسؤولين اذن أن يستوحوا مصلحة الدولة لا العواطف الشخصية او الرأي العام . فالرأي العام جاهل لا يستطيع دائماً معرفة صالحه ، وتكوّنه غالباً فئة محدودة من الناس . وعدم اتباع هذه الخطة يعود بالسياسة الى القرون الاستبدادية الماضية ، حين كان الوزراء يتمشون مع رغبات الملك وشهواته ويستغلونها ، فأصبحوا الآن يتمشون مع رغبات الشعب وشهواته ويستغلونها . هذه الرغبات والشهوات التي لا تنطبق دائماً على مصالح الشعب . فرجل الدولة الذي يعمل فقط على اكتساب رضاء الرأي العام ـ كيفما كان ـ ليحتفظ بمركزه ، لا يكون أشرف من سلفه الذي كان يعمل على اكتساب رضاء محظيات الملك ليحتفظ بمركزه » .

ثم يكون صادقاً وصريحاً اذ ينعي على رؤساء الدول العربية وحكوماتها ووزرائها هذا الشغف بالألقاب « الفخامة » و « الدولة » و « المعالي » وغيرها مما رافق عصور الانحطاط .

والمؤلف اذ يشايع الذين يخطّئون من : « يعتقد بان فن الدبلوماسية هو المهارة في الكذب والخداع والبراعة في الحيلة » يريد ان لا : « يفهم من الاستقامة وتجنب الكذب السذاجة و (طيبة القلب) ، قلنا بل البلاهة التي وقعت فيها الحكومات العربية ـ باسم الاستقلال والسياسة العليا ! ... ـ « اذ دفعت خمسة واربعين مليون ليرة سورية الى هيئة قامت بجمع اليهود في أوربة وايجاد مؤسسات خاصة لهم ، لاعاشتهم وتدريبهم على استعمار فلسطين ثم نقلهم اليها » حاشية الصفحة الـ ٥٧ .

وقد وفق المؤلف في ترجمة بعض الألفاظ ، وتناول بعض المصطلحات والاستعمالات بالنقد فأصاب في البعض ، وأخطأ ـ في رأينا ـ في البعض الآخر ·

من ذلك : انه ترجم Inviolabité بـ (الحرمة) على حين سبق لغيره ان ترجمها بـ « الوقاية » أو « بالمناعة » او بـ « عدم الانتهاك » او بـ « الصيانة » والحرمة في الموطن الذي استعملها المؤلف خير من سائر الألفاظ التي ذكرناها ·

وانتقد ترجمة Fédération بـ « دولة تعاهدية » أو « الدولة المتحدة » وفضل عليها « الدولة الاتحادية » وهو تفضيل نراه في محله · ورأى ان ترجمة Confédération d'états بـ « الدولة المجتمعة » او« الدول المتعاهدة » او « الدول المتآلفة » « لاتدل على المعنى الدقيق لتلك الكلمة » ورأى أن تترجم بـ « جامعةالدول » وليست هذه الترجمة التي يراها بالترجمة الموفقة · ذلك انا لانرى فرقاً لغوياً كبيراً بين « الدول المجتمعة » و « جامعة الدول » ثم ان لفظة « الجامعة » لا تُدخل من ينضوي تحت لوائها في عداد « الدول المركبة » التي يدور البحث عليها · هذا اذا لم نقل ان لفظة « الجامعة » بعد قيام « الجامعة العربية » أصبحت تنصرف من حيث الاستعمال الى الدول المتنابذة المتشاكسة المتخاصمة المتعادية ! · · ·

ونرى ان الأفضل ان يطلق على Confédération d'états « الدولة الائتلافية » في مقابلة « الدولة الاتحادية » ·

وترجم Routine بـ « الرتيب » وقد سبق أن ترجموا لفظة Monotone بـ « الرتيب » وقد شاعت وعمت فليس من المستحسن ان يشرك معها معنى آخر · ونرى رأياً ـ لا نجزم به ـ بل نعرضه للمناقشة ان الـ Routine أقرب ان تترجم بـ « الشنشنة » منها بـ « الرتيب » ·

نقول هذا ونعترف ان الألفاظ قل أن تترجم ترجمة تفيد معنى الكلمة المترجمة افادة جامعة مانعة ، بل ان هذه الموافقة قل أن تكون بين الاسم والمسمى في اللغة الأصلية نفسها · وان تشدد المؤلف الذي يكثر من اظهاره في وجوب

ترجمة اللفظة الأجنبية ، بلفظة عربية مطابقة كل المطابقة لا يسايره كثيراً في ما يختاره من الألفاظ ولا في ما يوافق عليه منها . والمعروف ان النسبة اللغوية تتصل بأدنى سبب ، والاستعمال علينا ان نستعمل أكثر الألفاظ في ما نستعملها له . وهذا عام في جميع اللغات .

وأطلق على Archives « مستودع الوثائق والاضبارات » أو « دائرة محفوظات الوثائق » وانتقد استعمال « السجلات » كما سماها بعضهم ، ولم يرضَ لها « خزائن الأوراق » ولا « قسم المحفوظات » كما تسميها وزارة الخارجية المصرية ، « لأن هذا الاستعمال ليس ذا معنى محدد » . قلنا ولعله أصلح لو أطلق عليها « ديوان الوثائق » أو « قلم الوثائق » وخير منهما « دائرة الوثائق » من غير هذه (المحفوظات) التي لا تزيد في المعنى ، وتثقل في اللفظ . قال : « أما Archiviste فقد سماه العرب في القرون الوسطى بـ « الخازن » : صبح الأعشى . ويسميه الاصطلاح المصري بـ « رئيس المحفوظات » وبـ « أمين المحفوظات » . قلنا : اذا لم يحتفظ لـ « Archiviste » باللفظ العربي الذي أشار اليه الأستاذ الحموي ، فمن الجري على مصطلح العرب أن يقال له : « امين الوثائق » او « صاحب الوثائق » .

وأخذ على مصر انها تترجم Chargé d'affaires ad interim « القائم بالأعمال بالنيابة » ويرى ان تترجم بـ « القائم بالأعمال بالوكالة » لأن الوكالة عكس الاصالة » ولا نرى الانتقاد وجيهاً . فالوكالة والنيابة يتعاقبان ، ولاستعمال كل منهما وجه . ومصر لا تعدل عن مصطلحاتها ـ ولو كانت على خطأ ـ لتجاري سائر الأقطار العربية ، فكيف اذا كانت على صواب ، فاذا كان من رغبة في توحيد المصطلحات فمن الرأي متابعتها في ما هي على صواب فيه ، او في ما لبست فيه على خطأ . على انه من المستحسن حذف الباء فيقال : « القائم بالأعمال نيابة » أو « القائم بالأعمال وكالة » اذا كان لا بد من استعمال الوكالة .

وترجمت مصر Chancellerie بـ « القلم » ويرى المؤلف ان « الديوان »

خيرٌ منهـا ، وما نحسب ثمة فرقاً يحتاج الى تصحيح . فقد استُعمل « القلم » واستعمل « الديوان » لهذا المعنى . والقلم أعرق في العربية من الديوان .

ويخالف المؤلف الحكومات العربية في ترجمتها (Audience) بـ « المقابلة » ويؤثر عليها « المثول » ولسنا في هذا من رأيه ، ذلك ان في لفظة المثول من معنى التصاغر والتطامن ، ما لا يتفق وآداب العصر الحاضر ، ويخالف الديموقراطيـة والمساواة اللتين نريد أن نسير نحوهما . ثم ان المثول لم يغنه عن المقابلة ، فقد اضطر ان يقول : « ان مقابلة المثول هي . . » ثم عاد في سياق كلامه الى استعمال المقابلة والمثول معاً ، فاذا أفردهما استعمل المقابلة وحدها .

هذه الألفاظ وأمثالها ، تحتاج في الموازنة بينها والترجيح ، الى مجمع عربي له سلطان على الحكومات العربية ، وهذا شيء لا تريده هذه الحكومات ورؤساؤها ، لأن فيه ما يشعر بتقريب مسافة الخلف بين الشعوب العربية ، وفي ذلك تقليل من عدد الرئاسات والوزارات ، وخطر على أصحابها والمتمتعين بها .

ولسنا نوافق المؤلف في قوله ان ما وقع على المانيه سببه نظام الحكم الفردي ـ فالشعوب لا يصلح أمرها ولا سيما في مبدأ نهضتها وتكوينها وفي العمل على وحدتها الا في ظل الحكم الفردي ـ هذا وان كنا نوافقه في بعض السبب الأول ، وهو اشتراك العسكريين في السياسية الخارجية .

ومما يؤخذ على المؤلف في لغة كتابه :

استعماله أشغل وأرجع والمجرد منهما يغلب في الاستعمال وألفت وصوابها لفت والتأكيد بالذات بدلاً منه بالعين والنفس . في مثل قوله « المعاهدة ذاتها » و « الشيء ذاته » والصواب « المعاهدة عينها » و « الشيء نفسه » واستعماله « بما » للتعليل وهو ما لم يسمع ، ولا وجه له . واستعماله « الصالح » و « الصوالح » بمعنى « المصلحة » و « المصالح » الى أمثال هذه الهفوات التي قل ان يسلم منها كتاب .

ولا نرى بداً من تكرار الشكر والثناء على المؤلف الفاضل .

عثرات اللسان

في اللغة

صنفه عبد القادر المغربي

كتيّب يقع في مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير . وهو من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق .

كان الأستاذ المغربي قد نبّه الى كثير من الأغلاط التي يقع فيها الكتّاب ، وجمعها في محاضرة عنوانها « عثرات الأقلام » ثمّ جدّ به الحرص على اللغة ، فنبّه الى « الأغلاط اللغوية التي انما يظهر خطؤها حين نطق الأفواه بها » في محاضرة عنوانها « عثرات الأفهام » مراعاة للوزن والقافية . ورأى أخيراً ان تُطبع هذه المحاضرة ليستفيد منها الجمهور ، بعد ان : « أضاف اليها الفاظاً كثيرة من بابتها تعثر بها الأفهام ، حتى بلغت أكثر من ٣٠٠ كلمة » .

وكأنه رأى غير جميل أن يستعمل « الأفهام » وهو ينبه الى مثل هذه الأغلاط ، فاستبدل بـ « عثرات الأفهام » « عثرات اللسان » فجاءت تسمية سائغة موفقة .

وليس من شك ، ان الأستاذ ما قصد بمحاضرته ثم برسالته الا الى الفئة المتعلمة المثقفة . لأنه لو أراد غيرها من العامة ، لما اتسعت الصفحات الطوال لأغلاطها ، ثم لأن كثيراً من الألفاظ التي نبه اليها ليس للعامة علاقة بها ، فهي لا تجري على منطوقها ، ولا تدخل في مفهومها .

وقد تُقسَم الفاظ هذا الكتيب ثلاثة أقسام :

الأول = ما أحسن الاستاذ كل الاحسان بالتنبيه اليه ، فهو ما تخطئ به الخاصة خطأ لا يليق بها .

الثاني = ما لا يجوز ان يعد في الخطأ ، اما لأنه هو الصواب بعينه ، او لأن فيه لغتين ، فليس يصح ان تعد احداهما خطأ لو كانت اللغة المرجوحة ، فكيف بها اذا لم تكنها ، كما هي الحال في بعض الألفاظ .

فمن الأول قوله : « الدُلالة = أجرة الدلال على دلالته يكسرون أوله خطأ ، والصواب ضمه (ص ٤٤ – ٤٥) .

وكتب اللغة تقول : « والدلاّل الذي يجمع بين البيّعين والاسم الدِلالة . والدِلالة ما جعلته للدليل أو الدلاّل » لسان العرب مادة دلل ص ٢٦٥ .

ومثله الخطابة أنكر الأستاذ أن تكون بفتح الخاء (لافادة معنى الحرفة والصناعة) والخطابة لا ترد في كتب اللغة الا بالفتح . وليست اللغة بجملتها قياسية ، فنقيس الخطابة على غيرها من الحرف والصناعات ، فنكسر خاءها . واذا كان لا بد من الأخذ برأي الأستاذ ، فعلى المجامع اللغوية ان تقر هذا قاعدة نأخذ بها ، قبل أن نجعل الصواب خطأ .

ويدخل في هذا قوله : « أعطيته الدرهم دفعة واحدة ، يفتحون الدال من كلمة دفعة والصواب (دفعة) بضم الدال » .

وكتب اللغة تقول : الدَفعة انتهاء جماعة القوم الى موضع بمرة . قال :

فنُدعى جميعاً مع الراشدين فندخل في أول الدَفعةِ

والدُفعة ما دُفع من سقاء او اناء فانصب بمرة . والدُفعة من المطر مثل الدُفقة . والدَفعة بالفتح المرة الواحدة » لسان العرب مادة دفع .

وهذا ينفي ان يكون قولنا : أعطيته الدرهم « دَفعة واحدة » - بفتح الدال - خطأ ولعل الأستاذ أخذ هذا من قولهم : « جاؤا دُفقة واحدة اي دُفعة واحدة » كأنه شبههم بالمطر المندفق ينصب بمرة . وهذا لا ينفي صحة : جاؤا دَفعة واحدة وأعطيته الدرهم دَفعة واحدة . ولا سيما ان وصف الدَفعة بالواحدة تجعلها للمرة ، وفَعلة للمرة ، مبنية على الفتح لا الضم .

وما عده الأستاذ خطأ وفيه لغتان . مثل الوزارة خطّأ من يفتح واوها . على حين واوها : تفتح وتكسر وان كان الكسر أعلى . والدلالة مصدر دله على الشيء جعلها مكسورة الدال ، وهي تفتح وتكسر على السواء ، والقَنَص

بالتحريك صحيحة ، كالقَنْص بفتح فسكون . تقول قنص ، يقنِص ، قَنْصاً وقَنَصاً واقتنصه وتقنصه : صاده .

الى كثير من أشباه هذه .

الثالث = ما لا يقوله متأدب ، ولا تنطق به العامة ، الا ان يكون من لا يستحق ان ينبه على خطأ ، مثل : عِطشان ونِعسان وسِكران (بكسر أوله) وكأسقف ، وإضحى . وغيرها

هذه ملاحظات نعرضها على نظر الأستاذ ، وقد نكون على خطأ فيها ، غير ان ما نريده هو : ان يأخذ كل منا لسانه باصلاح ما يثبت خطأه ، فلا تذهب توجيهات الاستاذ المغربي - في ما أصاب فيه - سدى . وفقه الله الى ما فيه صلاح هذه اللغة التي وقف عليها جهوده وحياته .

محاضرات نقابة المحامين

في حلب

السنة القضائية ١٩٤٨ — ١٩٤٩

هذه هي المجموعة الرابعة من سلسلة المحاضرات التي يلقيها في قاعة المكتبة الوطنية بحلب ، فريق من رجال القضاء والمحاماة . وهي تقع في ما يزيد على مئتي صفحة من القطع الكبير ، جيدة الورق والطبع . ومما يذكر بالشكر لهذه النقابة الفاضلة ، أنها بدأت هذا العمل المفيد منذ بضع سنوات ونرجو لها أن تستمر عليه ، ومثل هذا الثبات قل ان يقع لهيئة رسمية ، فكم وكم من النقابات التي حاولت ان تقوم بالقاء محاضرات ، أو اصدار مجلات ، فلم توفق . او كانت لها فورة ما تكاد تجيش حتى تسكن .

وعدد هذه المحاضرات التي ضمتها هذه المجموعة سبع :

١ — الاسناد الرسمية القاها الاستاذ عبد القادر الأسود .

٢ — الاسناد العادية القاها الاستاذ عبد السلام الترمانيني .

٣ — البينات في القانون الدولي وتنازع قوانينها في المكان القاها الاستاذ عارف الحمصاني .

٤ — الاقرار القاها الاستاذ فرنان بالي .

٥ — اليمين القاها الاستاذ ظافر الموصلي .

٦ — المعاينة والخبرة القاها الاستاذ رزق الله سالم .

٧ — اجراء الشهادة واليمين والشهادة واليمين الكاذبتين القاها الاستاذ نجيب الرفاعي .

وهذه المحاضرات تتناول « قانون البينات » بالتفسير والتوضيح ، مما يساعد على فهم روحه ، واستجلاء غوامضه ، ويقربه الى أذهان الذين كانوا غرباء عنه .

وقد صدَّر هذه المجموعة ثم مهد لها بكلمة الاستاذ فتح الله اسيون . وقدَّم بعض المحاضرين الاستاذ أسعد الكوراني . وقد وفّق كل منهما في كلمته ، كما وفق المحاضرون في محاضراتهم .

ولغة الكتاب صريحة واضحة ، مرضية في جملتها .

فنشكر للنقابة فضلها وجهدها وخدمتها للغة والقانون .

الروض الأزهر

في تراجم آل جعفر

كتاب ضخم يقع في ثماني مئة صفحة من القطع الكبير . ألفه السيد مصطفى نور الدين الواعظ ، وعني بنشره وأضاف عليه وعلى حواشيه ، ولده الأستاذ ابرهيم الواعظ رئيس محكمة الاستئناف بالموصل . وقد حرص المؤلف ولا سيما ولده من بعده ، على أن يجمع في هذا الكتاب كل دقيقة وصغيرة مما يتعلق بالمترجم له . وترجمة الأستاذ ابراهيم وحده ، شغلت مئتين وست صفحات فلم يغفل ذكر من قابله ومن عرفه ، وما أقيم له من حفلات ومآدب . ونشر صوراً

عن هذه الدعوات . كما ذكر مولده ونشأته ، وصوره في مختلف حالاته وأوضاعه الى غير ذلك من الشؤون الخاصة البحتة .

وكنا نريد للمؤلف لو أنه نزه هذا الكتاب عن بعض الألفاظ القبيحة التي لا يجمل ذكرها ولا نشرها في كتاب عام أو خاص .

المساجلات الموصلية

في الندوة العمرية

كتاب آخر للأستاذ ابرهيم الواعظ يقع في مئتي صفحة . وهو « مجموعة مساجلات شعرية ونثرية جرت بين أعضاء الندوة العمرية خلال سنتي ١٣٦٧ و ١٣٦٨ هـ » تناولت شؤوناً خاصة ونوادر أدبية وبعض الفكاهات وفيها من الشعر ما يكاد يكون مقبولاً عند أهل الأدب .

خريجو مدرسة محمد

وهذا كتاب ثالث ألفه أيضاً الأستاذ ابرهيم الواعظ وهو يقع في مئة وأربع وثلاثين صفحة . منها ثلاثون صفحة في تقريظ الكتاب ومدحه ، وما بقي تراجم لعشرين رجلاً من رجالات العرب والاسلام . وقد وفق الأستاذ في اختيار اسم كتابه ، وأودعه ترجمة جامعة مختصرة لكل من ترجم له .

فنشكر للأستاذ اجتهاده ورغبته في خدمة العلم ونشر الكتب .

عارف النكدي

يوميات هالة

سلمى لطفي الحفّار

اشتهرت السيدة سلمى لطفي الحفّار في مجتمعات نساء دمشق بمحاسن الفهم والذوق والحديث ومن كان نصيبه من هذه الأمور الثلاثة وافياً فأخلق به اذا كتب كتاباً أن تظهر في تضاعيفه آثار هذه الأمور .

كتبت هذه السيدة الكريمة : يوميات هالة ، اني مولع بأمثال هذه الكتب ، وأنا لا أطالعها لأفتش فيها عن أفكار وانما أطالعها لأفتش فيها عن أمزجة وطبائع وأرواح ، فالكاتب تنكشف روحه في هذه الكتب فتراه ماثلاً للعيون ، وقد انكشفت روح السيدة سلمى لطفي الحفار في يومياتها ، ومن خصائص هذه الروح براءة الطفل ووداعته .

قرأت قولها : كنت في أعيادي السابقة لا أفقه للحياة معنى ، لا أبالي إلا بالهدايا الصغيرة التي كنت أعطاها وبالثوب الجديد الذي أرتديه .

ثم قرأت قولها :

أمّا اليوم فلم أسرّ بشيء سروري بهدية خالتي العزيزة وهي مجموعة روايات جرجي زيدان وكتاب الأجنحة المتكسرة لجبران .

فتمثلت لي في هذين المقطعين براءة الطفل ووداعته في الانتقال لجأة من حب هدايا الأعياد الى حب الكتب .

ونجد هذه البراءة المحبوبة في قولها في وصف عرس :

ثم ذهبنا بعد الظهر الى الممشط وأشرفت والدتي على تنسيق شعري وتصقيله وسرّحت هي أيضاً شعرها وبعد الأكل دعتني الى غرفتها فارتدت ملابسها وتزينت وأجلستني أمام منضدة الزينة وبدأت تجملني .

هذا الذي أحبه في كتب اليوميات ، احب هذه الروح البريئة ، البسيطة التي

تظهر في أضعاف الكلام، ولا شك في ان السيدة سلمى لطفي الحفّار صورة والدها الكريم، فقد قال لها أبواها بعد ان بلغت السابعة عشرة :

قد صرت أطول من أبويك قامةً ونرجو أن تساويهما في الأناة ورجاحة الحلم .

فلا بأس بأن يشعر المرء برجاحة عقله ولكن لا بأس بأن نرى أيضاً سذاجة الأطفال في هذا الشعور .

يتخلّل هذه اليوميات اللطيفة وصف تجوِّده السيدة سلمى لطفي الحفار، فقد أتقنت وصف الأعراس وما له صلة بها كالغناء الذي عرفت محاسنه وعيوبه، والسيدة الفاضلة تنظر الى الحياة من وجهها الضاحك المشرق ولهذا فرحت جداً لمّا بلغت السابعة عشرة، فرحت لأنها لن تحرم بعد هذه السن حضور الأعراس والأفراح والسهرات التي تمتد الى ما بعد السحر .

أمّا القسم الثاني من اليوميات فهو مختص بالسياسة وقد خاضت السيدة سلمى لطفي الحفّار هذا العباب، والسياسة تحتاج الى كثير من هدوء الأعصاب ولكن السيدة الفاضلة قد تثور في بعض الأحيان، غير انها تثور ثورة شرف، انها تتعصّب لقوميتها ودينها فلا تبالي بأن تسمي المؤلف الذي يحط من قدر هذين الأمرين المقدسين دجّالاً كذّاباً دسّاساً ، وانها تحب والدها ووطنها فاذا أراح الله البلاد من مفوضٍ سامٍ ترى فيه اللؤم والحقد والحماقة حمدته على هذه النعمة .

وأخيراً قد يحب القارئ أن يعرف لغة هذه «اليوميات» الا أن الكاتبة الفاضلة قد وضّحت لنا رأيها في لغتها لمّا قالت :

وأقرأني والدي القرآن الشريف فصحّت لغتي وصقل لساني .

وعلى الرغم من البراءة والوداعة في هذه العبارة لا بأس بأن ترجع السيدة الى قراءة القرآن الشريف .

صور من حياتنا

محمد مجذوب

ذكر الكاتب في بدء القول ان هذه الصور انما هي صفحات أودعها طائفةً من مشاعره وأفكاره ، ماثلة في أنواع شتى من الأشخاص ، سوآء أعاش هؤلاء الأشخاص حقاً أم لم يعيشوا ٠

لم تستفض القصة في أدبنا الاستفاضة كلها فلا تزال الأذواق نافرة منها ، وقد يكون بعض السبب في ذلك ان هذا النوع من الأدب لم نحكم أصوله على نحو إحكام كتّاب الغرب ، فكثير من شبابنا يعتقدون ان القصة انما هي مجرد حكاية من الحكايات ، فكأنا لا نعرف ما تفتقر اليه من إلمام بعلم النفس وإتقان للوصف ووضع اللفظ في مواضعه وغير ذلك ، على انا نجد في كتبنا القديمة كثيراً من القصص وقد روعي في بعضها ما يراعى في هذا العصر من قواعد الفن فاذا رجعنا الى وصف صاحب الأغاني لعبث ابان بن عثمان ببدوي طمّاع وجدناه في هذا الوصف يتدرج من تصوير حالةٍ نفسية خفيفة الى تصوير حالةٍ أشد بحسب مقتضى غضب هذا البدوي ، ثم نجده في بعض القصص يقطع عباراته تقطيعاً التماساً لما يقتضيه فن القصة من الخفة والسرعة ثم نجده يصب اللفظ في قوالبه بحيث لا يمكن تبديله ، فالقصة كانت شائعةً في أدبنا ولكنها لم تشع شيوعها في هذا العصر فاذا أحببنا أن تعمل القصة عملها في مجتمعنا لزمنا إتقان فنها قبل كل شيء ٠

والأستاذ محمد مجذوب قد أتقن الوصف في صوره فاذا قال : كذلك تلك البيادر التي بذلوا قواهم في اعدادها واقامتها كالأهرام على مقربة من خمائل الغوطة ، فان قوله مصقول ، قريب من الواقع ، لا غلوّ فيه ، وقد يكون هذا الواقع منفِّراً ، ولكن الذنب ليس بذنب الكاتب لأنه أراد أن يكون أميناً في تصويره ،

من هذا الشكل وصف بائع : يكاد لا يستطيع حراكاً الاَّ حين يغلبه السعال فيتخلص منه بدفعة من بصاق ملوَّن ينثره بين يديه بجانب علبته المحشوة بالخبز والنقود !

فاذا كان مراد السيد محمد مجذوب أن يضع يد القارئ على صور من حياتنا ، على نحو ما أشار الى ذلك في أول كتابه ، فليثق بأنه استطاع أن يضعها ، وقد وضعها مرَّة على دفعة من بصاق ملوَّن ومرَّة على خمائل الغوطة ! هكذا الحياة ، فيها كل شيء .

الأساليب الشعرية

ابراهيم العريض (دار مجلة الأديب)

اذا دلَّ كتاب « الأساليب الشعرية » على شيء فانه يدل على مقدار فهم صاحبه للشعر وعلى مبلغ ذوقه في هذا الفهم ، ولقد ظهرت محاسن هذا الفهم وهذا الذوق في مواطن كثيرة من الكتاب ، من جملتها في الاشارة الى شاعرية المتنبئ والدفاع عن هذه الشاعرية .

ليس الشعر في نظر الأستاذ ابراهيم العريض الاَّ تعبيراً عن شخصية الشاعر ، والاختلاف في التعبير بين شاعرين يعالجان موضوعاً واحداً أو يجيبان دعوة عاطفة واحدة لا يمكن فهمه الاَّ برده الى الوسائل التي تناسب شخصية كل منهما في التعبير عن نفسها بحسب موقف كل شاعر من الحياة وبحسب نظرته الى هذه الحياة ، وعلى هذا الشكل تختلف الأساليب باختلاف طبائع الشعراء ، والناقد لا يهمه في الشعر قيمة هذه الشخصية بمقدار ما يهمه توفيق الشاعر في إبرازها ، فمظهر هذه الشخصية في الشعر لا يكون الاَّ في أسلوب الشاعر .

على هذا النحو من تعريف الشعر ، وحدّ الأسلوب تكلم المؤلف على الأساليب الشعرية من الجاهلية الى يومنا هـذا ، ففي الشعر أساليب الأنبياء والمؤرخين

والكهّان والمعلمين والمحدثين والمتعبدين والغنائيين وغير ذلك ، ولقد جاء بشواهد على كل اسلوب من هذه الأساليب من أرفع الشعر ، ثم بيَّن رأيه فيه ، وقد تكون هذه الآراء لمحات برق ·

ليس المهم ان يشتمل هذا الكتاب اللطيف على نظرات صادقة في فهم الشعر وتقديره وانما المهم تطبيق هذه النظرات على فحول الشعراء في عصورنا ، فاذا درس المؤلف أبياتاً للمتنبيء في عبرة الزمان درس أبياتاً مثلها للبحتري في المعنى نفسه ، فقابل بين روحين ، روح تُعنى بالتقرير وروح تُعنى بالتأثير ، روح صادرة عن العقل ، وروح صادرة عن العاطفة ·

والخلاصة ان كتاب « الأساليب الشعرية » فيه شيء من جدّة الموضوع وطرافته ·

الشعر العربي في بلاطات الملوك

نسيم نصر (دار مجلة الأديب)

وضّح الأستاذ عبد الله العلايلي في المقدمة التي وضعها لكتاب : الشعر العربي في بلاطات الملوك ، المقصود من قول من قال : أعذب الشعر أكذبه ، ثم بيَّن رأيه في هذا الكتاب فقال : فهو للمتعة حين تشاء المتعة ، وهو للتذوق الفني حين تشاء توفير المادة للتذوق ، على انه فوق هذا وذاك يأخذ بك في مضائق البحث الجاد الذي حشد له الأداة العقلية اللازمة دون أن تضيق بك او يلحقك ما تحذر من رهق عقلي واعناق ·

وكذلك الأستاذ نسيم نصر فقد فصَّل رأيه في كتابه فقال : ليست هذه الصفحات غير يسير من الآراء المدروسة في التنويه بقدر الشعر عند سائر الأمم ومنزلته عند العرب والاشارة الى الغنائية العربية واستعراض بعض الشعراء المقدّمين نماذج في الكشف عن حقيقة المدح الشعري وصلته ببلاطات الملوك في مختلف عصور العربية ·

أما القارئ فانه يجد في كتاب : الشعر العربي في بلاطات الملوك ، انصافا لبعض الشعراء المتقدمين أمثال طرفة في وصف ناقته وأبي العلاء في رسالة الغفران وعنترة في المامه بعلم النفس والبحتري في سينيته والمتنبئ في وصف الأسد ، وغير هذه الطبقة من الشعراء .

ثم يجد طائفة من الآراء الصحيحة القيمة في بعض فصول الكتاب ، كالفصول الآتية : نشأة الشعر في العرب وشخصية الشاعر والشعر الغنائي العربي وصلة الشعر العربي بالملوك والخلفاء .

ولكن جوهر هذا الكتاب يظهر في كلام صاحبه على شخصية فريق من الشعراء انتخبهم وهم : النابغة والأخطل والمتنبئ وشوقي .

حلّل في هذا الكلام شخصية هؤلاء الشعراء الذين مدحوا فأطلعنا على انسجام هذه الشخصية ، فانه لما وصف النابغة الذبياني بيّن لنا مقدار حرصه على قدر نفسه حتى في مواطن اذلال الحب وخنوع المولهين ، وهكذا شأنه في تحليل شخصيات الشعراء الأربعة .

والحقيقة لقد أخذنا نشعر في كتاب : الشعر العربي في بلاطات الملوك وفي الكتاب الآخر الذي أصدرته دار مجلة الأديب : الأساليب الشعرية ، باسلوب جديد في تحليل الأدب ، مطابق لروح العصر الذي نعيش فيه .

كانت لنا أيّام

عمر النص

إذا أردت أن ألخّص ما أدهشني في هذا الديوان فأكاد لا أجد بيتاً يصوّر هذه الدهشة مثل البيت الآتي :

قاربتُ أن أقضي ... وحُلْـــم شبيبتي لم يولدِ !

فلماذا هذا اليأس وحلم الشبيبة لم يولد ! لماذا هذه الكآبة وصاحبها لم يذق بعدُ مرارة الشيخوخة ، فكيف تكون كآبته اذا رجع في السبعين أو الثمانين الى ماضي شبابه وتلهّف على محاسن هذا الماضي .

لا أقرأ قصيدة من ديوان السيد عمر النص الاّ وجدت فيها النوح والدموع ، ولا أقرأ قصيدة الاّ وأد فيها صاحبها رغائبه وطوى عهده .

فالديوان كله حب ويأس ، وصاحب هذا الديوان لا يزال في مقتبل العمر ونضارة الشباب ، ولا شك في أن هذه السن انما هي السن التي يشتد فيها الحب واليأس في وقتٍ واحد ، الديوان كله على هذا النحو من النغمة ، ينطوي فيه الشاعر على خوفه وألمه وبليته .

جاء كالليل .. كالبلية .. كالآلام .. كالخوف .. كالتفاف الرزايا

فكأنا نعيش في هذا الديوان في أفق من الحياة مظلم الجوانب ولا يكاد ينسينا السواد الشائع في هذا الأفق الاّ البياض الشائع في هذه اللغة التي وصف بها الشاعر ظلمات حياته وتجهم دنياه واضطراب نفسه وخفقان قلبه .

فاذا خرجتُ من ديوان السيد عمر النص بأثر فلا أخرج الا بهذا الأثر الذي أشرت اليه ، خرجت ونصب عيني شاعر قد قلّب النظر في شعر الفحول من المتقدمين فوقع منه على اللفظ المنتخب الحرّ ، وما أقلّ شعراءنا الشباب الذين يستفيض في شعرهم مثل هذا اللفظ ، ما أقل شعراءنا الشباب الذين سلم شعرهم

من العجمة ، انا نقرأ شعرهم وقد جمعوا بين ألفاظ متنافرة وصورٍ متباعدة فلا ندري ما نقرأ ، انا نقرأ شعراً لا شرقياً ولا غربياً ، ولكنا اذا قرأنا شعر السيد عمر النص قرأنا شعراً عربياً :

اذا مرتْ أضواني الحنين وهدّني وساءلني قلبي ... الى أين تُعنِق

لا ينسينا الحياة المظلمة التي تشيع في الديوان الأ بيان من هذا الطراز .

من السماء

احمد زكي ابو شادي

اذا عُدّ المكثرون من شعراء هذا العصر جاء الدكتور احمد زكي ابوشادي في مقدمتهم ، اني لا أعرف خصباً مثل خصبه ، فما يعرض له موضوع من الموضوعات الاّ استطاع أن يفرغه في شعر ، فهو مفتون بالشعر ، ولم أشعر بهذه الفتنة مقدار شعوري بها لما زرته من خمس عشرة سنة أو أكثر في داره في المطرية ، فقد رأيت آثار الشعر في كل ناحية من نواحي هذه الدار ، في حديقته وفي متحفه ، ذلك المتحف الذي لا أنساه ، لأني لما زرته حسبتني قد زرت المقابر ، من هول هياكله وعظامها .

آخر أثر من آثار شعر الدكتور ديوان سماه : من السماء ، جمع فيه ما قذف به خاطره من ١٩٤٢ الى ١٩٤٩ .

صدّر هذا الديوان بمقدمة تكلم فيها على التجربة الشعرية ، وقد وجدناه في هذه المقدمة صاحب نقدٍ وأدب يبسط آراءه ويشرحها ومن الشعراء من جمعوا بين الشعر وبين النقد ولكن الذي أعرفه ان شعراءنا الكبار في الماضي والحاضر لما أوحت العبقرية اليهم ما أوحت ما كانوا يفكرون في النقد أو الفن وانما كان الشعر يجول في خواطرهم لمحاً مثل البرق وما أظن ان البحتري لما أتحف العصور

بسينيته الخالدة فكّر في شيء من التجربة الشعرية أو ما شابهها ، وانما الشعر جاء وحياً ، وأكثر الذين أحبوا أن ينقدوا الشعر او يبسطوا آراءهم في قواعد الفن زلت بهم أقدامهم في هذه السبيل ، فهذا ابوهلال العسكري ، فانا نجده بعرّف صورة من صور البلاغة ويضرب لها مثلاً شاعراً كأبي تمام ونظرائه ثم نجده يقول : ومن قولنا في هذا ، فنراه يخبط في الشعر انحطاطاً يكاد ينسينا علوّه في فهم البلاغة .

ليس معنى هذا ان النقد والشعر لا يجتمعان ، ولكنا نرى ان اكثر الذين تقيدوا ببعض الأمور في الشعر جاء شعرهم دون شعر الفحول ، فان الشاعر اذا اجتمع له طبع على الشعر وحس قوي يجعله يشعر بأفراح الحياة وأحزانها وخيال يستطيع أن ينقل به هذه الأفراح والأحزان من صورها المجرّدة الى صور محسوسة ولغة تجعل شعره ناطقاً استغنى بهذه المواهب عن كثير من قواعد الفن .

فلو كان الصديق الكريم الدكتور ابو شادي من المقلين ، واعتنى بما يستلزمه الشعر من الأمور التي ذكرتها لاستطاع أن يتحفنا بشعر رفيع الطبقة في البلاغة ، أما الاكثار فلم ينجح فيه الا قليل من كبار الشعراء .

كافر

شعر زهير ميرزا

أعجبني في ديوان السيد زهير ميرزا هذا المقطع :

شباب ، ومن كالشباب اذا — اعتراه الشعور المفيض الغني !
يدافع بالمنكب الغادرات ويترع كأس الهوى بالأمل
ويضحك ثغر وقلب وخا طر والنهى ، ضحكة للغزل
يريد الحيـاة كما يشتهي جنوناً وطيشاً بلا ثمن !

* * *

لم اهتمّ بهذا المقطع من ناحية اسلوبه ، وانما اهتممت به من ناحيـة لفظين وردا فيه ، وهما : الجنون والطيش ، فقد صوّر السيد زهير ميرزا روح الشباب في هذين اللفظين أنطق تصوير ، اني مولع بمطالعة شعر الشباب في عصرنا من حين الى آخر ، ولا أطالع هذا الشعر لأرى فيه صورةً من صور أساليب المتقدمين من شعرائنا ، وانما أطالعه لأرى فيه صورةً من صور جرأة الشباب من الشعراء ، ووجهاً من وجوه العقبات التي تعترضهم في فيض خواطرهم ، ان أكثرهم لا يريدون أن يبقى الشعر على أصوله القديمة ، لأن بقاءه على هذه الأصول لا يخلو من جمود ، وانما يحاولون إقحامه في الأنواع الأدبية الحديثة التي سموهـا : الدراما والترجديا والكومديا وما شابه ذلك ، واني لأشفق على مجهودهم في هذه السبيل ، فقد سلكوا ما لم يسلكه غيرهم ، ولم يبالوا باعتراض المعترضين ، وانما غايتهم ادخال الشعر في الأنواع الأدبية الحديثة مهما يكن الأمر ، فهم اعداء الجمود ، وقديماً جرى شيء من هذا الشكل في كل عصر من عصورنا ، ودافع بعض رجال الأدب عن المذاهب الحديثة في الشعر كابن قتيبة وابن فارس وصاحب الأغاني وغيرهم ولكن الفرق بين المجدّدين في تلك العصور وبين المجددين في عصرنا هذا أن اولئك قد أخذوا بالنصيب الأوفى من اللغة ، فلم يخرجوا في شعرهم على روحها ، اما المجدّدون في عصرنا هذا فلم يأخذ كلهم بمثل هذا النصيب ، ولهذا نجد في شعرهم الجمع بين الفاظ متنافرة ، والتأليف بين موصوفات وصفات متباعدة .

اما السيد زهير ميرزا فلم يخل شعره في بعض مواطنه من انقياد لعبقرية اللغة . وهذا نمط من شعره :

وهـذا الوجود على رحبه   تضايق حتى غدا طول باعْ

فطرت على جانحي فكـرة   أهيم ما لم أزر من بقاع

فلما بعدت بكى خافقي فعذبتـه بالصدود الأصم

فثار لنكبتـه خاطري فعذبتـه بالأسى والألم

ولا شك في ان رجوع صاحب هذا الشعر من حين الى آخر الى شعر العرب يزيد في صفاء ذوقه ونقاوة اسلوبه ، فهو يقول في بعض ابياته :

ركبت مع الريح اسعى الى السـماء وفي خافقي لهف

فلو مرّ على خاطره قبل ان يقول هذا البيت قول من قال :

سروا يركبون الريح وهي تلفّهم على شعب الأكوار من كل جانب

لأدرك الفرق بين قوله : ركبت مع الريح وبين قول الآخر : يركبون الريح ، وهذا سرّ من أسرار الشعر العربي لا يُهتدى اليه الا بعد طول النظر في شعر العرب والوقوف على المواطن التي تستفيض فيها موسيقى الألفاظ .

شفيق جبري

آراء وأنباء

كتاب تصحيح التصحيف

الصلاح الصفدي

لكل لفظٍ من الفاظ اللغة معنى يدل عليه ، وموقع يقع فيه : فاذا استُعمل اللفظ في غير معناه ، او وقع في غير موقعه كان ذلك مخلاً بالكلام ، ومضيعاً المعنى على الأفهام ، فتنتبه الى تدارك الخطأ ، ووجوب إصلاحه ، وتقويم اعوجاجه ، وقد نُقل عن العرب قبل عهد التأليف والتدوين شيء من الإخلال بالكلام ، والخروج به عن طريقته المألوفة : فكانوا يفطنون اليه ، ويعجبون من وقوعه ، ويتلاحون احياناً فيه .

وربما كان أقدم ما روي عنهم من هذا القبيل ما أشير اليه بالمثل العربي القديم (مَنْ ظَفَرَ حَمَّرَ) اي من جاء مدينة ظفار كان عليه ان يتكلم باللغة التي يتفاهم بها اهل ظفار : وهي اللغة الحميرية ، وكان هذا مذ قال ملك ظفار للوافد الحجازي وكان الملك على سطح قصره — ثِبْ : يأمره بالجلوس فظن الحجازي أنه إنما يأمره بالقفز ، كما هو معنى الوثوب في لغة الحجاز ، فقفز المسكين عن إجّار القصر فهلك .

وزار النابغة مكّة في العهد الجاهلي ، فاحتفل به أهلها وفرحوا بمقدمه ، واستنشدوه من شعره فأنشدهم من معلّقته الدالية المكسورة (عجلانَ ذا زادٍ وغير مزوّدِ) حتى بلغ قوله (وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ) فضم الدالَ فنبهوه الى إخلاله بالقافية فلم يكد ينتبه الى صواب ما قالوا حتى أمروا احدى المُسْمعات من قيانهم أن تغنّي وتمطّ شفتيها بكسرة (المزودِ) وضمة (الأسودُ) وحينئذ انتبه وغيّر القافية الى (وبذاك تنعاب الغرابِ الأسودِ) .

وابنُ الزِبَعْرَى المشرك سمع قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم) فجعل يقول للمشركين اسمعوا هذا محمد يقول إن عيسى سيكون في جهنم . فوبَّخه النبي (ﷺ) قائلاً : ما اجهلك بلغة قومك ! ما لما لا يعقل .

وفهم الصحابي عَدِيٌّ بنُ حاتم من آية (حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) أن المراد بالخيطين الخيطان المعروفان فاستعملها في تبيّن الفجر من غَسَق الليل . فنَعى (ﷺ) عليه سوء فهمه . وأُنزلت في الآية زيادةُ (من الفجر) .

وجاء أبو هريرة مُسْلِماً يحمل لهجة قومه اليمانيين فقال له الصحابة يوماً : هاتِ السكّين يا ابا هريرة ! فجعل يلتفت يمنةً ويسرة ولم يدر ما السكّين ؟ حتى أشاروا اليها فقال : آلمُدية تريدون ؟ والمُدية السكين بلغة اليمن .

وقال الفرزدق في إحدى قصائده :

(وعضّ زَمَانٍ يابن مروان لم يَدَعْ من المال الا مُسْحَتاً أو مجلَّفُ)

برفع كلمة (مجلَّف) فقالوا أخطأت : إنما هي مجلَّفاً بالنصب عطفاً على (مُسْحَتا) فلَسَنهم ولَسَنُوه .

وما ذكرناه من هذه الأخبار ليس فيه كلّه تصحيح غلط وانما فيه دلالةٌ على اشتغال العقل العربي منذ القديم بالفاظ لغته . ومواقع استعمالها . والمقارنة بين لهجاتها .

على أن هذا التحاور بينهم حولَ الفاظ اللغة عند الإخلال بفصيح استعمالها - إنما كان يقع في النَدَرى وعلى سبيل القِلّة . حتى انتشر الاسلام . وانفسحت رقعة الفتوحات . واختلط بالعرب أهل اللغات واللهجات المختلفة . فكثر إذ ذاك الخطأ في الكلام . واللحن في إعراب الألفاظ . والإخلال باستعمال معانيها :

سَمِع ابو الأسود الدؤلي ابنته تقول وهما على سطح في ليلةٍ صافية :

— ما أحسنُ السماءِ (بضم النون وكسر الهمزة) ؟

— نجومُها . (يعني أن نجومها أحسن ما فيها) .

— انما أريد التعجّب لا الاستفهام ·

— قُولي إذن ماأحسنَ السماءَ · وافتحي فاكِ (أي الفظي الكلمتين بفتح آخرهما) ·

ويزعمون أن هذه القصّة كانت السبب في وضع علم النحو ·

ومن ذلك العهد تتابعت الأغلاط في العربية · والإخلال باستعمال الفاظها : فرأى العلماء الأحفياء بلغتهم · الحريصون على سلامتها · والاحتفاظ بفصاحتها · أن يدوِّنوا ما يقع لأهل زمانهم من هذه الأغلاط · وينبهوهم الى صوابها تلافياً للشرّ · وتفادياً من التمادي فيه · فوضعوا ما لا يُحصي من المصنَّفات في إصلاح أغلاط العوامّ والخواصّ أحياناً · وقد تبعهم في هذا الصنيع المشكور المعاصرون · وأشهر من كَتَبَ في هذا الموضوع منهم الأساتذة الشاميّون : اليازجي والغلاييني وداغر والمنذر والجندي والمجمع العلمي (في عَثَرات الأقلام) والمغربي (في عَثَرات اللِّسان) ومن المصريين من لم تحضرنا أسماؤهم ·

ولعلّ أول من صنَّف في هذا الموضوع من العلماء القُدامى الكسائي (المتوفى سنة ١٨٧) فان له رسالةً سماها (ماتلحن فيه العامة) · وقد ذكر الأستاذ عزّ الدين التنوخي من هؤلاء العلماء ستة : ذَكَرَهم بمناسبة تحقيقه ونشره لكتاب (تكملة الجواليقي) وهم الكسائي والدينوري والعسكري وهاشم الحلبي والسُبْتي والجواليقي · وزاد (١) الأستاذ صلاح الدين المنجد ستة آخرين · وهم الباهلي والمازني وابو الهيذام والسجستاني والمفضّل وأبو عبيدة · واستدرك (١) عليهما الأستاذ كوركيس عواد فزاد خمسة : الفرّا وثعلباً والزبيدي النحوي الاشبيلي (في أغلاط عوام الأندلس) والكفرطابي وابن الجوزي · وغاب عنهم آخرون وهم :

(١) ابن قتيبة (وفاتُه سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه (أدب الكاتب) ·

(٢) الدارقطني (٣٨٥) ذكر الصفدي أن له كتاباً باسم (كتاب التصحيف) ·

(٣) الحريري (٥١٦) في كتابه (درّة الغوّاص) ·

---

(١) راجع مجلة المجمع العلمي مجلد ١٦ ص ٢٨٧ ·

(٢) المصدر نفسه مجلد ١٧ ص ٢٨٢ ·

(٤) عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩) في كتابه (ذيل فصيح ثعلب) .
(٥) الصفي الحِلّي (٧٥٠) في كتابه (أغلاطي) .
(٦) صلاح الدين الصفدي (٧٦٤) في كتابه (تصحيح التصحيف) وهو الذي عقدنا هذه الجلسة مع القُرّاء من أجل وصفه . وترصين[1] خبره . وإتحافهم بشيءٍ من فرائد دُرره .
(٧) ابن كمال باشا (٩٤٠) في كتابه (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) وقد كنتُ حقّقتُ هذا الكتاب وعلقت عليه ونشرته على حدةٍ وفي مجلة المجمع العلمي سنتها السادسة .
(٨) خسرو زاده (٩٩٨) في كتابه (غَلَطات العوام) كما في كشف الظنون .

فمجموع ما علق بالكفّ من كتب تصحيح أغلاط العوام والخواصّ خمسةٌ وعشرون كتاباً منها عشرة كتب في القرن الثالث للهجرة .

أمّا ما لم يعلق باليد بعدُ من كتب هذا الموضوع فشيء كثير ربما أدّى التنقيب اليه ، وأعثر الزمانُ عليه . وقد نفاجأ بخبر العثور عليه مفاجأةً كما كان من كتاب (أغلاطي) للصفي الحِلّي الذي أهدى فرانكو عظيم اسبانيا نسخةً عنه الى لجنة الثقافة العربية . وكما كان من كتاب (تصحيح التصحيف) للصفدي الذي أهدى كراسته الأولى الى رئاسة مجمعنا العلمي المستشرق الكبير العلاّمة كرينكو (أو كما يسمي نفسه (سالم الكرنكوي) .

ومع الكرّاسة الصفدية كراسةٌ أخرى مشدودة بها ومحبوكة معها . والكرّاسة الأولى تبلغ ثمانين صفحة ورَقُها أصفر حديث . وخطّها أيضاً ظاهر الجدّة من نوع النسخي المألوف لدى خطاطي العصر ويتخلّله عناوين وفواصل بالحمرة كما يتخلله بياضات طبقاً لأصله المنسوخ عنه . أما الكرّاسة الثانية المشدودة بها فثلاثون صفحة ولا يربطها بأختها الا الموضوع : إذ أن ورقها ابيض متين . وخطها عاديّ واضح

(١) قال الزمخشري في الأساس : وسمعتهم يقولون رَصّن لي هذا الخبر بمعنى حققه .

وهي رسالة كاملة لا خَرْم فيها . وكتب على ظهرها (كتابُ ذيل الفصيح لثعلب) لمؤلفه عبد اللطيف البغدادي وعليها سماعات مفيدة . وكتبت سنة ١٢٨٤ هـ مصححةً مضبوطةً بالشكل ومن ثَمّ كانت نعم العون لمن أراد طبع هذا الكتاب ونشره .

ويلفُّ الكراستين ـ الكراسة الصفدية المخرومة وكراسة البغدادي التامة ـ غلافٌ من ورق ثخين كُتب عليه بخطٍ قبيح ما نصّه (كتابٌ للصفدى وأخرى للثعلبي) وقد أراد الكاتب بالأخرى رسالة البغدادي (ذيل الفصيح) وقد أخطأ من جهات (١) نسبة كتاب ذيل الفصيح للثعلبي وهو للبغدادي (٢) تسمية البغدادي الثعلبي والصواب ان يقول ثعلب (٣) جعله ذيل الفصيح لثعلب وانما هو للبغدادي الذي جَعَلَ كتابه ذيلاً لكتاب ثعلب المسمّى بالفصيح . وهو أشهر الكتب التي ألفت في موضوعنا أي تصحيح الأغلاط . وكان السلف يأخذون صغارهم بحفظه أي حفظ الفصيح . حتى حكى ابن أبي الدنيا قال : أدّبتُ الخليفة المكتفي في صغره وأقرأته كتاب الفصيح فأخطأ فقرصتُ خدّه قرصةً شديدة وانصرفت ... الى آخر ما قال . ولهذه القصّة أو القرصة تتمة فيها حكمة (تُراجع في فَوات الوفيات جزء ١ ص ٢٣٦) .

أما مُهدي كراسة (الصفدي) أعني العلاّمة كرينكو فإنه كتب بخطّه تحت العنوان المذكور ما نصّه :

(كتاب التصحيف منسوب الى صلاح الدين الصَّفدي لا أعرف نسخةً أخرى (منه) ولا من أين نقله الكاتب ولكن لا شك أنه تصنيف الصفدي : فانه في آخر عمره عَدَل عن فن التاريخ الى أبحاثٍ في اللغة فجمع كُتُباً نَقَلَ عنها ما تيسّر تاركاً بياضات ليتمّم المادة . ولكن اخترمته الوفاة قبل فراغ كتابه : سالم الكرنكوي اهـ) .

سَمّى (كرينكو) كتاب الصفدي بالتصحيف أخذاً من مقدمته وهي (الحمد لله الذي لا يغلّطه اختلاف المسائل . ولا يثبّطه عن الجود الدائم

إلحاف السائل . . . . ونشهدُ أن لا إله الا الله شهادةً لا يدخل تحريرها تحريف . ولا يُخِلُّ بتصحيحها تصحيف الخ) فظن الأستاذ ان امم الكتاب (التصحيف) وانما هو (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) ومنه نسخة بهذا الاسم في دار الكتب المصرية . كما أخبرنا بذلك صديقنا الدكتور سامي الدهان .

وقول الصفدي في مقدمته : تحريرها تحريف الخ . يُشير به الى ما ذكرنا من اسم الكتاب الحقيقي . وهو (أي الكتاب) للصفدي بيقين وان لم يذكره في جملة مصنفاته مَنْ ترجم له : كابن حجر في الدرر الكامنة . والسبكي في الطبقات الكبرى . وجورجي زيدان في تاريخه . وجاء في مقدمة الكتاب قولُ الصفدي (وقد ذكرتُ في كتابي «فضّ الختام عن التورية والاستخدام» كذا وكذا فلم يبق شك في أن كتاب (تصحيح التصحيف) من مصنفاته وان لم يذكروه في جملتها . وعلل ذلك الأستاذ كرينكو في عبارته السابقة بقوله : إن الصفدي في آخر عمره عدل عن فن التاريخ الخ يعني أنه في آخر حياته سَئِمَ الكتابة في التاريخ والأدب وسكنت نفسه الى اللغة فجمع كُتُباً لغويّة اقتبس منها مباحث في ما أخطأت به العامة والخاصّة من ألفاظ اللغة . وكان أحياناً يترك في خلال الكتابة بياضات (فراغات) لملئها في ما بعد . فبهذا النوع من العلم والعمل شَغَلَ الصفدي شيخوخته . فجمع هذا الكتاب الذي وصل الينا من أوله ثمانون صفحة قبل أن يملأ بياضاته التي لا ندْري ما اذا كانت هذه البياضات موجودةً في نسخة دار الكتب المصرية أو لا ؟

ونتساءل عن وصول هذه الأوراق الأربعين الى العلاّمة كرينكو ؟؟ فيجيبنا هو نفسه بما كتبه بخطه على ظهر الأوراق وهو قوله (هذه النسخة من تركة فارس الشدياق) وفارسٌ هذا هو أحمد فارس اللغوي اللبناني المشهور . أسلم في تونس . ولَجَأ الى الأستانة فأمضى شيخوخته ثُمَّ قضى نحبه فيها سنة ١٣٠٥ هـ . وحِرْصُ هذا العلامة على اللغة العربية وتتبّع آثارها لا يقلّ عن حرص الصفدي .

فظَفِر بهذه المخطوطة (مخطوطة تصحيح التصحيف) في بعض مكاتب الأستانة كاملةً أو ناقصة ؟ فاستكتب ما وجده منها . وبعد موته هاجر ابنه (سليم الشدياق) الى لندرة تاركاً الأستانة راضياً أو ساخطاً . فأقام بها الى أن مات وبيعت مكتبة ابيه بعده او باعها هو في حياته فوقعت الكراسة في يد العلاّمة كرينكو الذي لا يقل حرصه وولوعه بآثار العرب الثقافية عن الشيخين الصفدي والشدياق .

فعلى ما ذكرنا يكون لهذا الكتاب مخطوطة مدفونة في خزائن الأستانة أخذ عنها العلامة الشدياق نسخته أو أنه أخذها من نسخة مكتبة مصر التي أخبرنا بها الدكتور الدهان فانه (أي الشدياق) أقام بمصر . قال زيدان : (وأتمّ علمه فيها وحرّر في الوقائع المصرية) .

ونكتفي بما تقدم في التعريف بالكتاب ونرجئ الى عدد آخر من مجلتنا اقتباس بعض ما في أوراقه المهداة الى المجمع من فرائد الفوائد . ونوادر الأدب الشوارد . أو ننشرها برمتها بعد تحقيقها والتعليق عليها .

المغربي

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الاستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١١ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٢ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٤ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٥ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

١٦ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين

١٧ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
١٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش
١٩ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٢٠ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٢١ — بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(١٩–٢١) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٢٢ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٢٣ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٢٤ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق